
مجلة البيان – العدد 75 ، ذو القعدة 1414هـ / أبريل 1994م

كلمة صغيرة

ديمقراطياتهم الزائفة

تدعي كثير من الدول العربية والإسلامية التوجه الديمقراطي وتخادع شعوبها والعالم بأسره لأنها تتناقض مع ما تعيشه تلك البلدان من واقع مؤلم من كبت للرأي ومن مصادرة لأي توجه معارض ولاسيما إن كان إسلامياً . فإنه سيوضع حينئذ مع قائمة المواد الممنوعة فهم ما بين مسجون أو مطارد أو مشنوق، لا لشيء إلا لمطالبتهم بتحكيم شريعة الله.

ومن العجيب أن تلك الدول يتسنم رؤساؤها زعامة الحزب الحاكم ، فعند أي انتخاب النتيجة المعروفة سلفاً 99% وربما خجلوا من المعارضة المسموعة في العالم فأعطوا المعارضة نسبة محدودة, والويل كل والويل لمن يعارض ، فأول جزاء سحب حصانته وربما ضرب بالنعال وأخرج غير مأسوف عليه ..

هذه ديمقراطيات القوم ولذلك لا يستغرب أن تكون تلك الحكومات محل رضا العالم الغربي لا لشيء إلا لأنها وقفت وبكل صفاقة في وجه التيار الإسلامي الذي يشكل بعبعاً لهم ولأسيادهم .

ولله الأمر من قبل ومن بعد ....

الافتتاحية

أيها المسلمون:
إلى متى هذا الهوان..؟

واقعة مثيرة حدثت في الأسابيع الماضية لكنها تُجُوهلَتْ ، لا أظنها تقل خطراً وجلالاً عن واقعة مذبحة الخليل الشهيرة، وما أعقبها من تخاذل غير مستغرب على هيئة الأمم ومؤسساتها ، في إصدار قرار عادل يدين الجريمة ويحدد سبل حماية المواطنين الفلسطينيين العُزل من »جنون« المستوطنين اليهود المسلحين وأعوانهم في جهاز الشرطة وجيش الإحتلال الصهيوني.

والشعور العام، في أوساط الإعلام العربي خاصة، بحجم الخطر الذي تمثله الواقعة الجديدة، أوقع الإعلام العربي في زلل فاحش، حين تعمد إخفاء معالم تلك الواقعة، وحاول التعتيم على صلب موضوعها، بإثارة الكثير من الغبار حول شكليات وملحقات لا تمت للموضوع الأصلي »الخطير« بصلة.

والشعور العام ، في أوساط المؤسسات» القــومـيـة« العربية ، والإسلامية بحجم» الجريمة« التي اقترفتها الأمم المتحدة بحق الإسلام وشريعته ، كان أيضاً سبباً في التجاهل »المريب« من هذه المؤسسات وأجهزتها ، لمعطيات الواقعة رغم أنه طلب رسمياً من الجامعة العربية تحديداً إصدار بيان واضح يدين هذا العدوان، ويطالب باعـتـذار عـلـني للمسلمين، ولكن الجامعة جعلت كما يقولون أذناً من طين وأذناً من عجين، ولا من رأى ولا من سمع.

***

القصة بتمامها ، أن الأمم المتحدة عينت في العام الماضي، المدعو» (كسبار بيرو) »مقرراً خاصاً لحقوق الإنسان في السودان،وقد نشط (»بيرو) »في إعداد تقرير كامل عن أوضاع» حقوق الإنسان« في السودان، جاء مليئاً بالاتهامات للحكومة السودانية في مختلف المجالات، وليس هذا بالمهم، فهذا شأنهم وشأن الســودان، ولكن ما هو ليس شأناً سودانياً بل هو شأن إسـلامي عـام يخص كل مسلم على وجه الخصوص، أن مقرر الأمم المتحدة لحقوق الإنسان كتب في تقريره مهاجماً الشريعة الإسلامية، ومعتبراً أحكامها في الحدود والقصاص إهداراً لحقوق الإنسان الأساسية، ثم لم يقف الـتـقــرير عـنـــد هذه الإهانة لدين الإسلام، بل ذهب إلى الهجوم على ممارسة» الدعوة إلى الإسلام« في المناطـق الوثنية وغيرها، واعتبر ذلك »انتهاكاً« لحقوق الإنسان،إضافة إلى هجومه على استعمال اللغة العربية لغة أولى للتعليم في السودان، معتبراً ذلك خرقاً لحقوق الإنسان.

***

في أعقاب هذه »الفضيحة« ناشد الـسـودان الأمم المتحدة سحب الفقرات الخاصة بالطعن في الإسلام وشريعته ، وطلب اعتذاراً» للمسلمين« عن هذا الجرم في حق دينهم ، بيد أن الأمم المتحدة رفضت بإصـــرار تحقـيــق هـــذا الطلب »البدهي« بل إن الولايات المتحدة تقدمت بمـشروع قرار يوصي بقبول تقرير (»كـســـبـار بيرو») بل وإمعاناً في الاستهتار ، يوصي بمد خدمته في السودان عاماً آخراً ، أيضاً المفـــوض السامي لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة ، دافع عن تقرير» بيرو» واعتبر أن »الحريات الأساسية« أهم من »الخصوصيات الإقليمية« ، ولعله استحى أن يقول »الدينية« ، وعلى كل حال فكل مــا لا يقل إجراماً عن تقرير» بيرو»، حيث يكون» مفهوم الإنسان الأوربي« عن الحريات، أقـــدس وأجل من دين الإسلام وشريعته بل ويلزم الإسلام بالخضوع للمقررات الأوربية في ذلك.

***

وكما قدمنا ، الإعلام العربي تجاهل الواقعة على خـطـــرها ومن تعاطى معها حاول إخفاء صلب الواقعة ، وجوهر الجريمة ، وصور الخبر على أنه نزاع بين السودان والأمم المتحدة في شأن إهدار حقوق الإنسان في السودان كذلك »المؤسسات القومية« ، تجاهلت هذا العدوان على الإسلام ، وكأن الإسلام

وشريعته أصبحتا شأناً وطنياً خاصاً بقطر من الأقطار، وليس دين الأمة بكاملها ، وما يمسه ويجرحه فهو يمس كل مسلم ، ويطعنه في أعمق مشاعره »وحقوقه« الأولية.

ولنا أن نتخيل هـــذا الطعن الوارد في تقرير صادر عن الأمم المتحدة موجه إلى المسيحية أو اليهودية ، فماذا سيكـــون رد الفعــل على مثل ذلك الطعن؟ بل إننا نقطع بأن مثل هذا السؤال مجرد فرض وهمي، إذ أن أحداً في المنظمة الدولية لا يجروء ولا يجول بخاطره أن يتعرض ، ولو من بعيد، إلى اليهودية أو المسيحية، ولا حتى عباد البقر، فهل صحيح أن الإسلام هو الدين المستباح عند المنظمة الدولية،في عقيدته التي تطعن» بدم بارد« في أصولها، ويكابرون في مجرد تقديم اعتذار، وحتـى إنـسانه الذي يذبح في مسجده ومصلاه بالجملة ومع ذلك تعاند المنظمة أو بعض كبرائها في إدانة الـمـجـرمـيـن وحـمــاتهم، وتتهـرب من الالتزام »بحق الإنسان الفلسطيني المسلم« في أن »يعيش«، وتحرمه من»الحـمــاية« ضـد مسلحين يحملون براكين مكبوتة، من الحقد والمرارة والعنصرية ضد كل ما هو عربي أو مسلم! هل أصبح الإسلام هو الدين المستباح في عالم اليوم؟ وهل أصبح طموح المسلمين في كل مكان أي يطالبوا بإقامة» مناطق أمنة« لعقيدتهم التي تنتهك بصورة شبه اعتيادية وعلى مختلـف الأصعدة من المنظمات الدولية إلى كتاب وفنانين يحظون بمباركة وحماية أكبر زعــامــات العالم السياسية وحتى بيوت الأزياء والموضة؟!

ما الذي يراد بالضبط من المسلمين هذه الأيام؟ وما معنى هذا المسلسل المتوالي من الاستفزاز والاستثارة المدعم بتيار إعلامي لا ينقطع مدده من دعاوى»الإرهاب الإسلامي«! والتطرف الإسلامي! والخطر الإسلامي! وأي شراك خبيثة تلك التي تنصب للمسلمين اليوم في غير مكان وناحية؟!

***

خبر.. أصدر البرلمان التركي قراراً برفع الحصانة البرلمانية عن النائب» حسن ميزارتش« من »حـــزب الـرفــاه« الإسلامي، ثم ألقت قوات الأمن القبض عليه بعد صدور قرار باعتقاله، والتهمة »إهانة ذكرى مصطفى كمال أتاتورك«! انتهى الخبر ، وانتهت معه وبه افتتاحية العدد.

في إشـراقة آية

ادخلوا في السلم كافة *

د. عبدالكريم بكّـار

إن المراد بـ»السّلم« هنا: (الإسـلام) عـلــى مــا رجّحَه عدد من المفسـرين وإن (كافّة) حال من (السّلم) على ما نرجحه ، ويكون المراد آنذاك: الأمر بالأخذ بتكاليف الإسلام جميعها: ما تميل إليه النفس منها ، وما يخالف هواها.

وتصرح الآية الكريمة بأن في عدم الأخذ بالإسلام كاملاً نوعاً من اتباع الشيطان ، حيث إن المنهج الرباني يباين السبل الأخرى في فلسفتها العامة ، وإن التفريط بشيء من ذلك المنهج سيكون فيه اتباع (آلي) لسبيل الشيطان حيث لا يوجد خيار ثالث.

ويمكن أن نستبصر في إشراقة هذه الآية المباركة المفردات التالية:

1- إن المنهج الرباني يتسم بسمتين أساسيتين هما: التكامل والتفرد فهو نظراً لتكامله لا يفسح المجال لعناصر أخرى منافية لجوهره ، وأما تفرده عن المناهج الأخرى فإنه يمنحه نوعاً من الحساسية الخاصة التي تجعل أي انحراف عنه أو به عن مقاصده وغاياته بالغ الضرر على أدائه وإصلاحه للشأن الإنساني كله ، فالصفاء الكلي ليس مطلباً من مطالب الإيمان النظري ، ولكنه مطلب من مطالب توظيف المنهج ورسم دوائر حيويته وفاعليته ، وذلك نظراً للعلاقة الجدلية بين النظرية والتطبيق ، فسلامة الإيمان على مستوى الاعتقاد تتأثر إلى حد بعيد بالأخذ الجزئي للإسلام على مستوى التطبيق!.

وقد حذّر القرآن الكريم النبي-صلى الله عليه وسلم-من مطاوعة المشركين في الإعراض عن بعض المنهج الرباني حين قال:((وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك))(1).

2- إن خصال الخير في هذا الدين كثيرة، وعلى مقدار ما يأخذ المسلم منها يكون كمال إيمانه وإسلامه ، لكن بما أن العمر محدود والطاقات محدودة فإن على المسلم إذا أخذ بعُمُد الإسلام ، واهتدى بهديه العام ، وقبس من كمالاته ، أن يبحث عن المجال الحيوي المناسب لاستعداداته وظروفه وطاقاته كي يتخذ منه محراباً لتعبده وتقربه إلى الله تعالى ، حتى نحفظ للمجتمع الإسلامي توازنه ونسد ثغراته.

ومن هنا فإن عبادة طالب العلم محاولة النبوغ ، وإتقان التخصص حتى نحقق للأمة الاكتفاء الذاتي ولو في حده الأدنى على الصعيد العلمي والفني وعبادة علماء الشرع القيام بالتبليغ وإحياء السنن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتجديد وظائف التدين والتبصر في واقع الأمة ، وإن عبادة الحكام إقامة العدل ، ورعاية شؤون الأمة ، وحماية البيضة ، والتعفف عن الأموال العامة ونشر الدعوة ، وعبادة الجندي دوام التمرس بفنون القتال ، واستيعاب الأسلحة الجديدة واستشراف الشهادة ، والاستعداد الدائم للبذل والفداء ، وإن عبادة الأغنياء وذوي الجاه سد حاجة الفقراء ومساعدة الضعفاء على حل مشكلاتهم والوصول إلى حقوقهم ، والبذل في تشييد المرافق العامة ، وهكذا...

وإن خروج كل واحد من هؤلاء عن مجاله الحيوي سيحرمه ، ويحرم الأمة من خير عظيم، بل قد يؤدي إلى أضرار بالغة وخيمة العواقب ، فإذا صار هم

العالم امتلاك المال بنية إعمار المساجد مثلاً تقلصت جهوده في ميدانه الحقيقي الذي ينبغي عليه المجاهدة فيه ، وإذا انشغل الحاكم بأعمال خيرية أو أداء النوافل عن واجباته الأخرى ، لم يكن ذلك موضع مدح ولا نفع ذي شأن للأمة المسلمة ، وهكذا...

وهذا كله يحتاج إلى نوع من البصيرة النافذة بغية وضع الأمور في نصابها.

3- إن أنظمة الإسلام يكمل بعضها بعضاً ، كما يفعّل بعضها بعضاً ومن ثم فإن أي خلل أو ضعف في نظام من تلك الأنظمة يؤثر بالسلب على أداء باقيها ، وهذا يعود إلى ما ذكرناه آنفاً من ميزة (التكامل) التي يمتاز بها المنهج الرباني ، ونظراً لأهمية هذه المسألة وضعف الإدراك لها سنفيض القول فيها عسى أن نشعر أننا نقف على أرض صلبة.

وفي البداية فإن مبادئ الإسلام ومنظوماته المختلفة تنضوي تحت رؤية واحدة مما يجعل التخلي عن أي منها هدماً لجزء من الرؤية الكونية الإسلامية ويستوي حينئذ على الصعيد العملي على الأقل الجهل بذلــك الجزء مع تجاهله أو جحده ، والنتيجة واحدة، وهي غبشٌ في الرؤية على المستوى الـنـظــــري ، واختلال في التوازنات العميقة على مستوى الشعور، واضطراب أنظمة الحياة الإسلامية على مستوى الفعل والواقع المُعَاش، وسنضرب العديد من الأمثلة لجلاء هذه الحقيقة.

أ- الزكاة جزء من النظام الاقتصادي الإسلامي ، وعدم القيام بهذه الشعيرة يؤدي إلى عدم كفاءة النظام الاقتصادي ، كما يؤدي إلـى إلـحـــاق الضرر بالنظام الاجتماعي والأخلاقي أيضاً، فالمقدار المفروض من الزكاة في الأموال وعروض التجارة هو 2.5% ، وهذا القدر كاف لسد العديد من حاجات المجتمع الإسلامي على مقـتضــى الحكمة الإلهية البالغة ، لكن ذلك سيكون في الأحوال العادية والطبيعية وفي غير الأحوال الطارئة كما في حالات الزلازل والفيضانات ، وذلك أيضاً فيما إذا التزم أغنياء المسلمين بإخراجها، وإذا اسـتـمــــر ذلك الالـتـزام حقـبـــة مناسبة من الزمن ، فلو قدرنا أن 10% من الأغنياء أخرجوا الزكاة وأن التزامهم بأدائها فـي مجتمــع ما لم يمض عليه سوى سنتين ، فإن الزكاة آنذاك لا تقوم بمهامها على الوجه المطلوب ، حيث إن الحالتين اللتين ذكرناهما تجعلان الفقر يتراكم ويتفاقم إلى الحد الذي لا تفي أموال الزكاة بالتخلص منه.

ثم إن نظام الزكاة يؤدي مهامه في ظل فعالية الأنظمة الأخرى ، فإذا كانت موارد القطر شحيحة جداً ، أو كان النظــام الـسـيـاسي فيه مختلاً ، وأدى ذلك إلى انتشار البطالة والعطالة عن العمل ، فإن نظام الزكاة بـالـتـالي لا يوصلنا إلى الأهداف المنشودة منه.

وباعتبار الزكاة جزءاً من النظام الاقتصادي الإسلامي ، فإنها أيضاً لا تؤدي وظائفها إلا بفاعلية النظام الذي تنتمي إليه، فمثلاً : (القرض الحسن) جزء من ذلك النظام، وإعراض الدولة أو الشعب عنه يؤدي إلى نوع من تعطيل حركة

المال وتداوله ، وبالتالي إلى ضعف حركة التنمية والاستثمار مما يفضي أيضاً إلى قلة فرص العمل وكثرة الفقراء والمعوزين.
ومرة أخرى فإن فاعلية نظام الزكاة ترتبط جزئياً بقيام الدولة بواجباتها من ضمان الحد الأدنى من المعيشة للفقير بالقدر الذي يحفظ كرامته ، ويجعله في وضع منتج مثمر ، فإذا عجزت الدولة عن ذلك أو قصرت فيه ، فإن آلية (نظام السوق) ستوجد شريحة واسعة من المحتاجين الذين لا يمكن أن تقوم بهم أموال الزكوات والنذور والكفارات... وينفعل كل ذلك ويتأثر بقوة النظام القيمي وفاعليته ، فإذا كان نشطاً اندفع الناس إلى التطوع بكثير من الأعمال الخدمية واندفع كثير من الفقراء إلى العمل والحركة مع حسن التدبير والتعفف عن أموال الآخرين مما يخفف من غلواء الحاجة.
ب- الضبط الاجتماعي في الإسلام يقوم على ركنين أساسيين: الأسرة والمجتمع العام بما فيه من وسائل تثقيف وتعليم ورقابة... وإن الخلل في أي من هذين الركنين سيؤدي إلى شيوع الخلل في أداء الركن الآخر. وواضح أن مهمة الأسـرة أن تصقل الفرد من داخله بما تغرسه من قيم وآداب وبما تخطه في ذهنيته ومشاعره من خطوط عميقة ، كما أن مهمة المجتمع الأرحب القيام بالرقابة على تشجيع القيم الإيجابية وحماية أفراده من السقوط فيما يعتبر أعمالاً مشينة أو مُخلة.
والحالة النموذجية في هذا تتجلى في عموم الإيمان بالقيم والنظم ، وتوحد التربية الفردية مع معايير الضبط الاجتماعي على مقتضى ذلك الإيمان ، فإذا ما افترضنا الاختلاف بين القيم الأسرية والقيم التي يبثها الإعلام أو تلقنها المدرسة أو يشيعها الشارع ، فإن النتيجة هي تمزق شخصية الطفل بين مختلف هذه المؤثرات ، وحينئذ فإن التربية الأسرية تتعرض للخطر من قبل المجتمع الأوسع أو يأتي الخطر مما تواضع عليه من قبلها. هذا من جهة، ومـــــن جـهـة أخرى فإن الطفل يُخفي في البيت ما تلقفه من المدرسة أو الشارع ، ويُخفي فيهما ما لُقنه في البيت، والنتيجة هي الازدواجية والحيرة وانطفاء الفاعلية، أي إجهاض عمل الجهات التربوية المختلفة ، وترك الناشئ لموجات الظروف.
ج- الحدود في الإسلام وسائل للردع ، وهي بمثابة العمل الجراحي الذي يأتي ترتيبه في التطبب متأخراً ، وتؤدي الحدود مهماتها في مجتمع تعمل فيه باقي الأنظمة بكفاءة من نحو الاستقـــرار والعدل وتوفر فرص العمل المناسبة وانعدام المغريات بالفاحشة وانسجام التربية البيتية مع معايير الضبط الاجتماعي وانتشار العلم... وإذا ما فرضنا وقوع خلل فيما سبق أو بعضه،فإن كفاءة الحدود في توفير الأمن للمجتمع سوف تتراجع على مقدار القصور الحاصل في الأنظمة الأخرى ، وهذا كله يجعل مسؤولية أمن المجتمع واستقراره مسؤولية عامة يتحملها كل فرد في المجتمع ، كما تتحملها الدولة على مقدار المكنة والتخصص.

4- إذا كانت أنظمة الإسلام متفردة في رؤيتها الكونية وفي منطلقاتها وأهدافها ، فإن مما يضر بتماسكها الـــداخلي إدخال العناصر البعيدة عن طبيعتها عليها ، وهذا ما يمكن أن نسميه بـ (التلفيق) ، وإن الثقافة الإسلامية تقبل من الجديد ما ينشط وظائفها ، أو يوظف مبادئها ، أو يملأ فراغات وهوامش أوجدتها خاصية المرونة فيها ، فإذا تجاوز الأمر ذلك إلى الجوهر والأنظمة الأساسية، فإن النتيجة هي ضرب التوازنات العميقة لتلك الثقافة مما يجعلها تنكمش كما هو الكائن الـحـــي حين يُهاجَم وتفرز نوعاً من العطالة الضرورية كيما تحافظ على وجودها وانسجامها.

وإن ثقافتنا الإسلامية تمر بمرحلة عصيبة لا سابق لها في تاريخها المديد حيث يمتلك زمام تثقيف الأمة أناس كثيرون يجهلون ثقافة الأمـــــة، بل إنهم رضعوا لبان الثقافة المعادية، ولسنا هنا بصدد بيان ذلك ولا أسبابه، لكن ما نشاهده اليوم من عمليات التلفيق والتهجين الثقافي كان حصاد مراحل الركود الفكري والحضاري بصورة عامة، وإذا كان التجديد سنة من سنن الكائن الحي فإنه إذا لـم يتوَل التجديد أهله تولاه غيرهـــم، فالإنـســان بطبعه لا يصبر على طعام واحد، وهـــو يستهلك الشعارات والأفكار والنظم الصغرى ، فـــإذا لم نقم بإثراء ثقافتنا بالدراسات والـخـبـرات وتجديدها وتحريرها من عوادي الانحراف والجمود والتقليد فعل ذلك من لا يُحسنه،وصار الانسجام والتجديد عبارة عن سمات ظاهرة جوفاء، أما الجوهر فيشوبه التناقض والتآكل الداخلي.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الهوامش :

*من قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)) (سورة البقرة:208)

(1)سورة (المائدة:49)

مـقـال

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتثبيت الأمن بمفهومه الشامل

فهد بن ناصر الجديد

تـمـهـيـد:

الدعوة السلفية بنجد التي يرميها شانئوهـــا زوراً الوهابية بقصد التنفير منها وادعاء أنها دعوة مبتدعة ، هي دعوة إصلاحية ، ودعـــــوة لتصحيح العقيدة الإسلامية التي انحرفت عن النهج الحق بفعل الاتجاهات الصوفية والبدعـيــة بـوجـــــه عام ، وبخاصة في القرون الأخيرة ، ومما يؤسف له أنه مازالت بعض الاتجاهات البدعية تناصب هذه الدعوة العداء بدون وجه حق ، لكن الحق أبلج

وأكبر من أن تقف في وجهه المعوقات ، فقد بُينت حقيقة هذه الدعوة وكتب عنها ، وقرظها الكثير من العلماء على مستوى العالم الإسلامي منهم (مسعود الندوي من الهند والشيخ بهجت الأثري من العراق، والشيخ رشيد رضا من مصر، والشيخ علي الطنطاوي من الشام وغيرهم)، وهذه المقالة تتحدث عن جزئية خاصة من الآثار الإيجابية لهذه الدعوة.

-البيان -

يعتبر الأمن من العناصر الأساسية التي تستقر عليها الدول، وتقوم عليها الحضارات ، ولا يمكن أن يتحقق الأمن بمفهومه الشامل إلا عندما تتحقق عبودية الإنسان لربه، يقول الله تعالى: ((ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً))(1).

والجزيرة العربية وهي مهبط الوحي ومبعث الرسالة الخالدة، لا يمكن أن تقوم بها حضارة إلا في إطار من الشريعة الإسلامية، ولا يمكن لأهلها أن ينعموا بالأمن والاستقرار إلا تحت راية التوحيد.

ومع إشراقة العصر الحديث ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قلب الجزيرة العربية، واستطاع بفضل الله أن يوحدها تحت قيادة إسلامية واحدة ؛ لذا جاء الاهتمام بدراسة هذه الدعوة المباركة وأثرها في جانب من أهم جوانب الحياة الأساسية ألا وهو الأمن ، وقبل البدء في هذا الموضوع لابد من ذكر لمحة موجزة عن الحالة الأمنية قبل تلك الدعوة، ومدى ما وصلت إليه الحال من التدهور والاضطراب آنذاك.

الحالة الأمنية قبل الدعوة:

اضطربت الحالة الأمنية في الجزيرة العربية بسبب انهيار وانحراف الحالةالعقدية »فكانت البلاد تعيش في ظلام دامس بين عدو يأخذها بالقهر وبين صديق يأخذها بالغزو«(2)،ولمعرفة ما وصل إليه الحال يمكن ذكر المثالين التاليين:

المثال الأول: ذكر المؤرخ ابن بشر عن أحداث سنة 1120هـ قوله »وفيها قتل حسين بن مفيز صاحب (التويم) البلد المعروف في ناحية سدير ، قتله ابن عمه فايز بن محمد وتولى بعده في (التويم) ، ثم إن أهل حرمه ساروا إلى التويم ، وقتلوا فايزاً المذكور وأمروا في البلد فوزان بن مفيز(3) ، ثم غدر ناصر بن حمد بفوزان فقتله ، فتولى في (التويم) محمد بن فوزان ، فتمالأ عليه رجال وقتلوه منهم المفزع وغيره من رؤساء البلد وهم أربعة رجال ، فلم تستقم ولاية لأحدهم فقسموا البلد أربعاً كل واحد شاخ في ربعها« أي صار شيخاً (4).

المثال الثاني: ما جرى لبلدة العيينة عندما أصابها المرض الخطير في عام 1139هـ وأفنى الكثير من أهلها ، ومات أميرها عبد الله بن معمر ، وتولى بعده حفيده محمد بن أحمد ، فاجتمع كلٌ من أمير الدرعية زيد بن

مرخان وفايز السبيعي ومعهم أربعون رجلاً، وليـتـهـم قرروا تقديم المساعدة لتلك البلدة المنكوبة ، لكنهـم قرروا الهجوم عليها ونهب خيراتـهـــا ، فـلـمـا علم أميرها الجديد أرسل إلى زيد بن مرخان قائلاً : »ما ينفعك نهب البوادي وغيرهم لنا ، وأنا أعطيك وأرضيك وأقبل إلى أكلمك من قريب وأناجيك«(5). فلما قدم زيد ورجاله وجلسوا إذا برصاصة تستقر في جسمه بتدبــيـر من ابن معمر ، فمات من فوره ، وتفرق رجاله داخل البيت.

دعائم توطيد الأمن:

لقد سار الشيخ وبمؤازرة الأمير محمد بن سعود على النهج الذي سار عليه السلف الصالح في توطيد الأمـن بمفهومه الشـامل في المجتمع فلم يحصر معالجة الخطأ على الانحراف الشخصي للفرد ، وإنما امتد الإصلاح إلى انحراف المجتمع الذي مهد لانحراف الفرد ؛ لذلك جاءت دعائم الأمن مرتكزة على ثلاثة أسس(6) لا مناص عنها ، وهي:

*تربية الفرد.

*إصلاح الأوضاع القائمة.

*إقامة الحدود.

تـربـيـة الـفـرد:

اهتم الشيخ بأن يتكون في الفرد وازع ديني يحول بينه وبين الوقوع في الجريمة ، فكان التوحيد الخالص من شوائب الشرك أول أمر دعا إليه حتى تتحقق عبودية الفرد لربه ، فإذا علم الإنسان أن الله هو الخالق الرازق (توحيد الربوبية) فلا يفكر في الحصول على مغنم بوسائل غير مشروعة ، وإذا تيقن الإنسان أن الله هو المعبود بحق (توحيد الألوهية) فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يوجه العبادة من دعاء أو استعانة أو استغاثة أو ذبح أو نذر إلا لله وحده ، وإذا علم الإنسان أن الله العليم الخبير المطلع على سرائر الأمور (توحيد الأسماء والصفات) فلا تراوده نفسه الإقدام على الجريمة ، لذا قام الشيخ بتأليف كتابه المشهور»كتاب التوحيد«(*).

ولم تكن التربية قاصرة على طبقة دون أخرى ، بل شملت كل طبقات المجتمع حتى كبار السن والعامة ، حيث قام بتأليف رسالة موجزة في العقيدة تعرف بالأصول الثلاثة جاءت على طريقة الحوار وهي مفيدة جداً.

وأما في مجال التربية بالقدوة فقد حرص الشيخ على التأسي بـهـــدي المصطفى-صلى الله عليه وسلم-في جميع أفعاله،فقام باختصار كتاب»زاد المعاد في هدي خير العباد« لابن القيّم، مع إبراز العبر والعظات، كما قام باختصار السيرة النبوية وربط المعتقدات الباطلة في عصره بالجاهلية الأولى.

وقد حرص الشيخ على ضـــرب الأمـثـلــة بذكر قصص السابقين لما للقصة من أثر بالغ في التربية كما ذكر في كتاب»التوحيد« قصة الرجلين الذين قدم أحدهما قرباناً لصنم قوم عندما مروا عليهم فخلوا سبيله ، وامتنع الآخر

فـكـانـت حـيــاته ثمناً لامتناعه فدخل الجنة ، وكذلك قصة الأقرع والأبرص والأعمى.
وقد أكد الشيخ على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد المعرفة والفهم»لأن الإنسان لا يجوز له الإنكار إلا بعد المعرفة ، فأول درجات الإنكار معرفتك أن هـــذا مخالف لأمر الله«(7) ، ومما قال أيضاً في ذلك: »وأهل العلم يقولون الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاثة أمور: أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه ، وأن يكون رفيقاً فـيمــا يأمر به وينهى عنه ، صابراً على ما جاءه من الأذى«(8).

ومن وسائل التربية ما يلي:

*بـعـــث الدعاة والعلماء إلى البلدان التي انضمت إلى رحاب الدعوة ، مثل إرسال الشيخ محمد بـن صـالــح إلى بلدة منفوحة ، والشيخ عيسى بن قاسم إلى بلدة الرياض ، والشيخ أحمد بن سويلم إلى بلدة ثادق والشيخ حمد العريني إلى بلدة اليمامة ، وجمع من العلماء إلى منطقة الإحساء، والـشـيـخ عـثـمــان أبا حسين ثم الشيخ قرناس بن عبدالرحمن إلى بوادي حرب.
*إرسال الرسائل إلى بعض البلدان لتوضيح حقيقة دعوته ، مثل رسالته إلى أهل القصيم ، ورسالته إلى فاضل بن مزيد رئيس بادية الشام، ورسـالـتــه إلى عبدالرحمن السويدي أحد علماء العراق ، ورسالته إلى البكيلي صاحب اليمن ، ورسالته إلى أهل المغرب.
*إقامة المناظرات العلمية مع علماء المسجد الحرام في مكة المكرمة عندما تم إرسال كل من الشيخ عبدالعزيز الحصين في عام 1184هـ والشيخ حمد بن معمر في عام 1211هـ.
*تدريس كتاب»كشف الشبهات«(**) في بيت الله الحرام (بـعــد دخـــول السعوديين مكة المكرمة) في عام 1218هـ.

إصلاح الأوضاع القائمة:

لقد فطرالله الكائن البشري على صفات عديدة منها أنه لا يمكن أن يعيش مستقلاً بذاته ، بل لابد له من العيش بين أفراد ومجتمعات ، فإذا كانت تلك المجتمعات غير صالحة ، فلا يمكن للفرد مهما بلغ صلاحه أن ينعم بالأمن في ظلها ، لذا حرص الشيخ على إصلاح الأوضاع القائمة حتى يحافظ الفرد على صلاحه ، ومن الأوضاع التي تم إصلاحها ما يلي:
ـإصلاح الوضع الاجتماعي.
ـإصلاح الوضع السياسي.
ـإصلاح الوضع الاقتصادي.

إصلاح الوضع الاجتماعي:

حـــرص الشيخ على تقوية الترابط الأسري في المجتمع ببيان حقوق كل من الرجل والمرأة حتـى يسود الأمن الاجتماعي بينهما ، فقد وجد في بعض

المجتمعات النجدية آنذاك من ينظر إلى المرأة نظرة ازدراء وتنقص ، فيوقفون أوقافاً يتحايلون بها لمنع المرأة حقها الشرعي في الـميراث ، ويزعمون أن ذلك قربة إلى الله ، ومن ذلك ما ذكره الشيخ في بعض رسائله قائلاً : »من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر تغيير شرع الله ودينه والتحايل على ذلك بالتقرب إلى الله، وذلك مثل الأوقاف هذه.. إذا أراد الرجل أن يحرم من أعطاه الله من امرأة أو ابن أو نسل بنات أو غـيـر ذلك ، أو يعطي من حرمه الله أو يزيد أحداً أكثر مما فرض الله أو ينقصه من ذلك يريد التقرب إلى الله بذلك مع كونه مبعداً عن الله،فالأدلة على بطلان هذا الوقف ووجوب عودته وقسمته حسب ما قسم الله ورسوله أكثر من أن تحصر«(9).

إصلاح الوضع السياسي:

كانت المنازعات على السلطة بين أفراد الأسر الحاكمة من الأمور المتفشية في بلدان الجزيرة العربية ، وكان غالباً ما يصل الأمراء إلى الحكم عن طريق القوة والاغتيال، وقليل من يصل سليماً (10) كما أسلفنا.

لذا تعين لدى الشيخ أن السياسة الشرعية في بناء البيئة الإسلامية وهدم البيئة الجاهلية تقتضي البحث عن أمير(11) يقتنع بصحة الدعوة ويجاهد لأجلها. كما اقتضت السياسة الشرعية لدى الشيخ أن يتم تعيين الأمير كما يتم تعيين الإمام للصلاة لكل بلدة تنضم إلى رحاب الدعوة ، ومن ذلك ما ذكره مؤرخا الدعوة ابن غنام وابن بشر :

*تعيين مبارك بن عدوان أميراً على بلدة حريملاء في عام 1168هـ.
*تعيين دخيل بن سويلم على بلدة ثادق في عام 1170هـ.
*تعيين سليمان بن عفيصان أميراً في بلدة الدلم في عام 1190هـ.
*تعيين عبد الله بن جلاجل في منطقة سدير عام 1191هـ.
*تعيين زيد بن عريعر في منطقة الإحساء عام 1204هـ.
*تعيين هادي بن قرملة رئيساً على بوادي قحطان.
*تعيين كلاً من عبدالوهاب بن عامر وفهاد بن شكبان وطامي بن شعيب أمراء في منطقة الجنوب.
*تعيين الشريف عبدالمعين أميراً في مكة المكرمة عام 1218هـ ، ثم تعيين الشريف غالب في عام 1220هـ.

إصلاح الوضع الاقتصادي:

تأكد لدى الشيخ أن وقوع الجريمة ليس دائماً بسبب الفرد كما يبدو ظـاهــراً وإنما هناك سبب حقيقي دفعه إلى اقترافها ، »والمصادر المتوفرة عن تلك الفترة توحي بأن الـظـلـم كان الصفة العامة لأمراء البلدان«(12).

لذا اهتم الشيخ بالإصلاح الاقتصادي حتى يسود الأمن الاقتصادي في الأمة ، وأعظم ما قام به في ذلك المجال المعاهدة أو البيعة التي تمت بينه وبين أمير الدرعية (محمد بن سعود)، حـيـث نـص الـبـنـد الثاني على التخلي عن خراج

الثمار الذي كان يؤخذ من أهلها(13)، ولـقــد أثـبـتـت الأحـــداث الجسام بعد تلك البيعة اقتناع أمير الدرعية بالدعوة ودفاعه المستميت عن مبادئها

إقامـة الحـدود:

إن الهدف الأساسي من إقــامة الحدود قائم على أساس حماية الضروريات الخمس التي دعت إليها الشريعة الإسلامـيـــة ، وهي: الدين ، والنفس ، والعقل والعرض ، والمال ، فبعد تأمين الحاجز الداخلي لدى الفرد بالتربية الصالحة ، وبعد تأمين الحاجز الخارجي المحيط بالفرد المتمثل في إصلاح الأوضاع القائمة،تأتي المرحلة الثالثة في حماية المجتمع، وذلك بإقامة الحدود ، وعلى هـــذا الأساس يتبين أن العقــوبة ليست قائمة على التشفي والانتقام ، وإنما على الردع والزجر ، يقول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-(حد يقام في الأرض خير من المطر لأهلها أربعين صباحاً»رواه ابن ماجة)(14) ، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: »وهذا لأن المعاصي سبب لنقص الرزق والخوف من العـــدو ، كما يدل عليه الكتاب والسنة فإذا أقـيـمـــت الحدود وظهرت طاعة الله ونقصت معـصـيــة الله حـصـــل الرزق والنصر«(15).

ومن الحدود التي تم تنفيذها رجم الزانية في بلدة العيينة في عام 1157هـ.

ولم تكن الحدود مقتصرة على الأفـراد فحسـب بل امـتدت إلى الجـماعات ومن ذلك ما ذكر ابن بشر:

*أرسل الأمير سعود على رأس قوة عسكرية إلى منطقة الإحساء في عام 1210هـ لإقامة الحدود على المخلين بالأمن.

*أرسل الأمير سعود قوة عسكرية في عام 1219هـ إلى بوادي الظفير بعد أن تأكد تهاونهم عن الصلوات المفروضة ، إضافة إلى إيوائهم لبعض المبدلين لدين الله.

ثمار الدعوة من الناحية الأمنية:

لقد جنى أهل الجزيرة ثمار تلك الدعوة المباركة في توطيد الأمن بمفهومه الشامل، واطمأن الناس على سلامة عـقـيـدتـهـــم من الأفكار المنحرفة المنتشرة في كثير من أنحاء العالم الإسلامي، وأمنت قوافل الحجيج القادمة من مختلف بقاع العالم الإسلامي، وكان إيراد عمال الزكاة وأخماس الغنائم الذيـــن يقدمون إلى الدرعية، يتخذون تلك الأموال أطناباً لخيامهم إذا جن الليل عليهم لا يخـافـــون إلا الله(16). وقد اتخذ الإمام عبدالعزيز بن محمد رعـيـة إبل لحفظ الضـوال منها فمن وجد إبلاً ضالة في أي بقعة من الجزيرة أتى بها إلى الدرعية وأخذ المكافأة المعدة له(17)، وعلى من ضاعت له إبل أن يقدم إلى تلك الرعية فإذا عرفها أتى بشاهدين أو شاهد ويمينه ثم يأخذها، وربما يأخذ الواحدة اثنتين بسبب التناسل والتكاثر(18)، وذات مرة حاول نفر من الأعراب وهم جياع أن يأخذوا عنزاً ضالة ويذبحوها ويأكلوها، فلم يتقدم لها

أحد، وعندما ألحوا على أحدهم أجاب قائلاً : »والله لا أنزل إليها ، ودعوها فإن عبدالعزيز يرعاها«(19).

الهوامش:

(*) كتاب (التوحيد) من أهم الكتب في تحقيق العبودية لله والخلوص من الشرك ، وقد نال اهتمام الكثيرين من علماء الدعوة ، فشرحوه بين شرح كبير ومتوسط ومختصر، ومـــن أهمها (فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ) و(تيسير العزيز الحـمـيد للشيخ سليمان بن عبد الله) و(قرة عيون الموحدين للشـيخ عبدالرحمن بن حسن) واعتنى به حـديثاً كل من الشـيخ عبدالرحمن السـعدي ، والشـيخ مصطفى العالم والشيخ سعيد الجندول وغيرهم.

(**) كشف الشبهات كتاب حواري في التوحيد يناقش المبتدعة وعباد القبور والأضرحة ويوضـــح انحرافهم عن الصواب. ولا يملك طالب الحق إلا التسليم للشيخ في حواره الموضوعي وهو كسابقه كتاب التوحيد جديران بأن يترجمان للغات العالم الإسلامي، لمزيد من التوعية وكشف شبهات البطلين والمرتزقة بالأضرحة والعكوف عليها. والله المستعان.

(1) منير العجلاني ، عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد ، ص 3.

(2) بياض في الأصل ولعل الاسم كاملاً ما ذكر.

(3) عنوان المجد ، طبعة وزارة المعارف ، ص 418.

(4) المصدر السابق ، ص 423.

(5)الرائد فهد عبدالعزيز الدعيج ، الأمن والإعلام في الدولة الإسلامية ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض ، ص 117، بتصرف.

(6)مؤلفات الشيخ الإمام ، الرسائل الشخصية ، رسالة رقم 22، ص 156بتصرف.

(7)المصدر السابق ، رسالة رقم 41، ص 284.

(8)المصدر السابق ، رسالة رقم 44، ص 296.

(9)المصدر السابق ، رسالة رقم 12 ، ص7879.

(10)عبد الله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره ، ص 16، بتصرف.

(11)صالح عبد الله العبود ، عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى 1408هـ.

(12)عبد الله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره ، ص 16 ، بتصرف.

(13)حسين بن غنام، روضـــــة الأفكار ، تحقيق الدكتور ، ناصر الدين الأسد ، ص81 عثمان بشر ، عنوان المجد ، طبعة وزارة المعارف ، ص22.

(14)وحسنة الألباني في»الصحيحة« ح 231.

(15)ابن تيمـية ، السياسة الشرعية ، تحقيق محمد أيمن الشبراوي ، دار الكتب العلمية ص 68.
(16-19)عنوان المجد ، ص 122.

من فقـه الدعـوة

نظـرات تربـويـة
في خلق الصدق
- 1 -

عبدالعزيز بن ناصر الجليل

منزلة الصدق منزلة عظيمة ليس في دين الإسلام فقط بل في جميع الأديان، لا لأنه خُلق من الأخلاق الحميدة فحسب، بل لأنـــه أصـل الإيمان المقبول عند الله عز وجل، وهو أساس النجاة من عذاب الله عز وجل ، وبه يتميز أهل الإيمان الحق من المنافقين الكاذبين، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في منزلة الصدق: »وهو منزل القوم الأعظم الذي مـنـه تنشأ جميع منازل السالكين،والطريق الأقوم،الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين«... إلى أن يقول: »فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهـوال، والباب الذي دخــل منه الواصــلون إلى حضرة ذي الجلال،وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين ، ودرجته تالية لدرجة (النبوة) التي هي أرفع درجات العالمين«.

ولقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة وآثار الســلــف في فضل الصدق وخطورة أمره وعلو شأنه.

ولقد اخترت هذه الوقفات التربوية لخلق الصدق في ضوء القرآن الكريم لمعالجة هذا الموضوع الذي يهم كل مسلم بصفة عامة ، ويهم الدعاة إلى الله عــز وجل بصفة خاصة ، لاسيما في واقعنا المعاصر ، وتتجلى أهميته في الأمور التالية:

الأمـر الأول:

لأنه أساس الإيمان ، وركنه الركين ، وأساس قبول الطاعات والقربات عند الله عز وجل، وعليه يترتب الأجر والثواب يوم القيامة،قال تعالى:((ليجزي الله الصادقين بصدقهم))(1) وقال تعالى:((هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جناتِ تجري من تحتها الأنهار...))(2) ولأنه أساس الطاعات وجماعها ، فقد أصبح الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: »الصدق أساس الحسنات وجماعها، والكذب أساس السيئات ونظامها ، ويظهر ذلك من وجوه منها:

*أن الصدق هو المميز بين المؤمن والمنافق ، ففي الصحيحين عن أنس عن النبي: »آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان«(3) ، وفي حديث آخر: »على كل خلق يطبع المؤمن ليس الخيانة«(4)وقد وصف الله المنافقين في القرآن بالكذب في مواضع عدة ومعلوم أن المؤمنين هم أهل الجنة ، وأن المنافقين هم أهل النار في الدرك الأسفل منها.
*أن الصدق هو أصل البر، والكذب هو أصل الفجور، كما جاء في الصحيحين عن النبي: »عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر...«(5).
*أن الصادق تنزل عليه الملائكة،والكاذب تنزل عليه الشياطين كما قال تعالى: ((هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفَّاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون))(6)(7).

الأمر الثاني:

أن الصدق في كل الأمور يوصل صاحبه إلى مرتبة»الصديقية« ، التي هي المرتبة التالية لمرتبة النبوة، وعندما أقول في كل الأمــور أريد من ذلك عدم حصر الصدق في اللسان فقط، وإنما الصدق في النيات والأقوال والأعمال والأصل تحري الصدق في ذلك كله.
إن مجاهدة النفس على تحري الصــــدق في جميع الأمور يوصلها إلى هذه المرتبة العظيمة مرتبة»الصديقية« كما جاء في الحديث الـســابق الذكر: »... ولايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدّيقا«(8).
وهنيئاً لمن وصل إلى هذه المرتبة ، فيا لها من رتــبــة ، وما أشـرف قدرها وأعظم فضلها ، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في وصـــف أهل هذه الطبقة: »الطبقة الرابعة ورثة الرسل وخلفاؤهم في أممهم ، وهم القائمون بما بعثوا به علماً وعملاً ودعوة للخلق إلى الله على طريقهم ومنهاجهم ، وهذه أفضل مراتب الخلــق بعد الرسالة والنبوة ، وهي مرتبة الصديقية ، ولهذا قرنهم الله في كتابه بالأنبياء فـقــال تعالى: ((ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً))(9).

الأمر الثالث:

ثمرات الصدق العظيمة التي تحصل منه في الدنيا والآخرة من البركة والقبول والإصلاح في الدنيا ، والأجر العظيم والثواب الجزيل في الآخرة وسيأتي تفصيل كل ذلك إن شاء الله تعالى في (ثمرات الصدق).

الأمر الرابع:

خطورة الكذب والنفاق وأثرهما على الفرد والمجتمع والأمة وبخاصة في مجتمعاتنا اليوم التي كثر فيها الكذب والدجل والمداهنة ، وقل الصدق فيها والصادقون ، ولا أعلم والعلم عند الله عصراً ظهر فيه الكذب والنفاق بوسائله الماكرة المتطورة كما ظهر في عصرنا اليوم، حتى أصبح الكذب له مدارسه

وأساليبه التي تعلم الناس كيف يكذبون ، وكيف ينافقون وكيف يدلسون... الخ ، ولا أبالغ إذا قلت إن وسائل الإعلام اليوم المقروءة منها والمسموعة والمنظورة قد قامت في أغلب برامجها على الكذب ، وقلب الحقائق وتسمية الأمور بغير أسمائها، وقد تجاوز الأمر حده حتى أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وظهر الحق في صورة الباطل ، والباطل في صورة الحق ، وأصبحنا نسمع من يقول عن المسلم الصادق الذي يتحرى الصدق بأنه ساذج وبسيط وسطحي... الخ ، في الوقت الذي يوصف الكاذب المنافق بأنه السياسي الحكيم المحنك ، إن مجتمعاً كهذا حري بالسقوط والدمار، ولا نجاة ولا فلاح إلا بالصدق، والأمة الصادقة مع ربها سبحانه ومع رسولها-صلى الله عليه وسلم-لا تهزم أبداً.

الأمر الخامس:

ظهور بعض علامات ضعف الصدق في صفوفنا معشر الدعاة إلى الله عز وجل، وذلك بوجود بعض التصرفات والممارسات التي تتنافى مع الصدق في الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيله، فقلّ الصادقون الربانيون الذين يصدقون في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم، ويضحون في سبيل الله عز وجل بكل ما يملكون لنيل مرضاته وحبه، نعم إنه بمحاسبة عجلى لنفوسنا يتبين لنا هذا الضعف، وأننا في أمس الحاجة إلى تقوية هذا الخُلق، ونبذ كل ما يتنافى معه من صور الكذب والنفاق ووهن العزيمة، وضعف الهمة، وإلا فما معنى وجود هذه الجهود الضخمة المبذولة اليوم في طرق الدعوة إلى الله عز وجل ، ثم لا نرى لها إلا أثراً ضعيفاً لا يكافئ تلك الجهود المبذولة؟!

الأمر السادس:

إن الصراع الذي نشاهده اليوم بين الحق والباطل ، بين دعاة الشر والكفر ودعاة الخير والإصلاح ، ليحتم على أهل الخير حرصهم الشديد على الصدق مع الله سبحانه واليقين بنصره وثوابه ، حتى لا تزل الأقدام ، وتضعف العزائم إزاء هذا البلاء العظيم والمعركة الشرسة بين الحق والباطل ، وهذه المواطن هي التي يتميز فيها الصادقون عمن سواهم ، قال تعالى: ((الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين))(10).

وكذلك أيام الفتن لا يثبت فيها إلا الصادقون العالمون العاملون ، وهم الذين يشرفهم الله عز وجل بنصره ، ويمكن لهم في الأرض ، ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين.

حقيقة الصدق:

إن حقيقة الصدق أوسع من كونها الصدق في الحديث فقط ، وإنما حقيقة الصدق شاملة لصدق النية والعزيمة ، وصدق اللسان ، وصدق الأعمال ، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى : »ومما ينبغي أن يعرف أن الصدق

والتصديق يكون في الأقوال وفي الأعمال كقول النبي-صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح: »كتب على ابن آدم حظه من الزنا، فهو مـــدرك ذلك لا محالة، فالعينان تزنيان وزناهما النظر ، والأذنان تزنيان وزناهما السمع، واليدان تزنيان وزناهما البطش، والرجلان تزنيان وزناهما المشي، والقلب يتمنى ويشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه«(11).
ويفصّل الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى القول في هذا المعنى فيقول: »والإيمان أساسه الصدق ، والنفاق أساسه الكذب ، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر«.
وأخبر سبحانه: أنه في يوم القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه قال تعالى: ((هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوزٍ العظيم))(12) وقال تعالى: ((والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون))(13) ، فالذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله ، والصدق إنما يكون في هذه الثلاثة:
فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها ، والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد ، والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الأخلاق ، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة ، فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق ، وبحسب كمال هذه الأمور فيه ، وقيامها به تكون صديقيته ولذلك كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه ذروة سنام الصديقية فسمي (الصدّيق) على الإطلاق. و(الصدّيق) أبلغ من الصدوق، والصدوق أبلغ من الصادق، فأعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية وهي كمال الانقياد للرسول-صلى الله عليه وسلم-مع كمال الإخلاص للمُرْسل«(14).

الفرق بين الصدق والإخلاص:

الـصـــــدق والإخلاص عملان قلبيان من أعظم أعمال القلوب ، وأهم أصول الإيمان ، فأما الصدق فهو الفرقان بين الإيمان والنفاق ، وأما الإخلاص فهو الفرقان بين التوحيد والشرك في قول القلب واعتقاده أو في إرادته ونيته والأعـمـال التي رأسها وأعظمها»شهادة أن لا إله إلا الله« لا تقبل إلا بتحقيق الصدق والإخلاص.
ومن هنا كان الصدق والإخلاص شرطين من شروطها ، ولذلك كذّب الله المنافقين في دعوى الإيمان، وقول الشهادة لانتفاء الصدق، فقال:((إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لـكـاذبون))(15) ، وقال: ((فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين))(16).
كـما أبطل سبحانه زعم أهل الكتاب والمشركين أن دينهم هو الحق بانتفاء الإخلاص فقال: ((لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين

حتى تأتيهم البينة))(17)، إلى أن يقول:((وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلـصـيـن لــه الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة))(18).
والصدق والإخلاص مع تقاربهما ترادفهما أحياناً يميز بينهما بتعريف ضد كل منهما: فالصدق ضده انتفاء إرادة الله بالعمل أصلاً،كمن آمن وصلى كاذباً ولم يرد الإيمان والصلاة، وإنما فعل ذلك لسبب آخر، كما فعله المنافقون حفظاً لأنفسهم وأموالهم من السيف، وجبناً عن تحمل أعباء المواجهة الصريحة للإيمان.
والإخــلاص ضده انتفاء إفراد الله بالإرادة والتوجه كمن آمن أو صلى صارفاً ذلك لأحد مع الله، وهذا هو الشرك الذي وقع فيه أكثر العالمين،وعلى قدر ما يحقق العبد الإخلاص لربه يكون ترقيه في»المخلصين« الذين صرف الله عنهم غـوايـــة الشـيـاطـيـن وأثنى عليهم في كل أمة»(19).
وللحديث بقية..

الهـوامـش:

(1)الأحزاب ، آية 24.
(2)المائدة ، آية 119.
(3)البخاري، كتاب الإيمان،ج24 الطبعة الأولى، ص14، مسلم كـتـاب الإيـمــان، الطبعة الأولى، طبعة دار الكتب العلمية.
(4)رواه الإمام الحاكم وضعفه الألباني.
(5)البخاري، كتاب الأدب، ج3 ص59، طبعة إستانبول؛ مسلم كتاب البر، ج2 ص438، طبعة الكتب العلمية.
(6)الشعراء:221-222
(7)مجموع الفتاوى ، 20/74.
(8)سبق تخريجه في رقم (5).
(9)النساء ، آية 69.
(10)سورة العنكبوت:1.
(11)البخاري ، 10/22 كتاب الاستئذان.
(12)سبق تخريجها في رقم (2).
(13)مدارج السالكين ، 2/269.
(14)الزمر:33.
(15)المنافقون:1.
(16)العنكبوت:3.
(17)البينة:1.
(18)البينة:5.
(19)ظاهرة الإرجاء في الفكر المعاصر ص 438.

دراسـات دعـوية

إشكالية المناهج
في واقع الدعوة

سـليمان عبدالعزيز الربعـي

مـدخـل:

سنة ربانية أن تتعدد طرق البلاغ فـي مـحـاور من السبل المختارة الرامية إلى نتاج مبارك ، وهو واقع مَرْضيّ في حقيقته منه سبحانه وتعالـى ، شرط اتحاد وجهات الهدف على نحو موافق لمراده ومراد رسوله-صلى الله عليه وسلم- بلا لبس أو غبش. إن ذلك أيضاً هو ذات الحقيقة في دعوة المحجة القرآنية في غير ما موضـع ، حيث اختلفت بجلاء أماكن الرسل عليهم الصلاة والسلام في دعواتهم إلى أقوامهم ، فـي الـوقــت الـــذي اتفقت فيه أهدافهم الكامنة في توحيده جل وعز وحده لا ند له.

وبأقــل قـــدر مــن الملاحظة يمكن للسابر أن يستجلي ما تقرر في آي الذكر الحكيم، ذلـك لوضوحه وبروزه ، وها نحن نصطفي سورة هود تقعيداً وتأسيساً.

إن ذلك يتجسد بمفتتح يذكر فيه تعالى» قصص الأنبياء عليهم السلام للنبي-صلى الله عليه وسلم-تنبيهاً له على ملازمة الصبر على أذى الكفار إلى أن يكفيه الله أمرهم«(1).

بدءاً بقصة نوح مع قـومـه ، ثم تتابع قصص النبيين هود وصالح ولوط وشعيب في مضامين حوارية رائعة السبك والمدلول ، ولكل قوم توجيه خاص يناسب معطيات الحدث وتركيبة العقل المخاطب، فقوم نوح مثلوا قمة البطر العنصري والتجبر الجنسي، مقسمين المجتمع قسمين: نبلاء أشراف، وأراذل دهماء: ((ومـــــا نـــراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي...))(2) ، قال ابن كثير رحمه الله : »وما نراك اتبعك إلا الذين هم أرذالنا كالباعة والحاكة وأشباههم ، ولم يتبعك الأشراف ولا الرؤســـــاء منا«(3) ، وهؤلاء ناسبهم خطاب التمسك بحق هؤلاء الضعفاء في الدين ، والتسليم بأن مرد ذلك إلى الله وحده فلا يستطيع نوح طردهم ، ولا يدري بما يدخره الله لهم في الآخـــــرة ، إمعاناً في التبكيت ، ودحضاً لوسائلهم المعتادة في الرفض ((وما أنا بطارد الذين آمـنـــــوا))(4) ((ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً، الله أعلم بما في أنفسهم، إني إذاً لمن الظالمين))(5).

لقد كان فهماً فاسداً مؤداه أن الحق لا يمكن أن يتبعه إلا الأشـــــراف دون غيرهم ، الأمر ذاته الذي تبنته قريش.

وأما قوم هود ، فَحُبس عنهم الغيث ، وانقطع نسلهم ، فكانا خطين متوازيين يؤديان إلى الهلاك المادي والمعنوي ، بانقطاع الذكر والأثر في الثاني وندرة

المورد في الأول ، ومن ثم ناسبهـــم منهاج خطاب الوعد بالغيث ومدد القوة ((ويا قوم استغفروا ربكم يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم))(6) ، وحكمة هذا البيان الدعوي المحسوس إنما هي موافقته لواقع الحال ، كما ذكر ذلك المفسرون(7).
واختلف الخطاب عند البيان لقوم صالح ، إذ جاء مذكراً إياهم بنعمة التعمير والاستخلاف الممتدة طوراً بعيداً ، فكان الواجب آنئذ: الإعمار المبارك واستغلال طول الأمد بالعبودية المفردة: ((وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب))(8) ، ومعناه أرجأكم بنسيء الأجل »وكانت أعمارهم من ثلاثمائة إلى ألف«(9).
ويتواصل بـيــان الدعوة ليمتد إلى عهد لوط عليه السلام فيعمد إلى أسلوب التذكرة الفطرية بالتناسب الطبيعي للأجناس البشرية ، من حيث كونه هداية أبدية ، يجنح بها المذكر إلى المؤنث في الأحياء كافة ، وكذا في مثله في السالب والموجب في ذرات الكون كلها ((وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد))(10) ، أي راشد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما أجمع عليه المفسرون رحمهم الله.
ثم يختلف الأسلوب تماماً في الموقف الخامس من السورة ، في معرض الحديث عن قصة شعيب مع قومه أهل مدين ، فقد كانوا أصحاب تجارة وأرباب أموال ، غير أنهم معه كانوا ينقصــون الناس حقوقهم في الكيل والميزان ، ولذا ناسب أن يخاطبهم شعيب عليه السلام بقولـــه المخبر عنه في القرآن الكريم: ((ولا تنقصوا المكيال والميزان))(11) ، ذلك لكونه لاحــــظ بطرهم مع غناهم فالقوم كانوا في سعة من الرزق ، يقول الإمام الطبري في معرض تفـسـيـره للـخـيــــر في قوله: »إني أراكم بخير«: »عن الحسن قال: الغنى ورُخص السعر«(12).
لقد عشنا في خمس جولات تباينت فيها ملامح المناهج الدعوية ، فهي تأخذ في كل جولة معالم محددة بسياقات المناخ والتركيب العقدي والفكري وذلك على النحو التالي:
1- الأولى منها دعوة إلى المساواة وكسر حاجز البطر العنصري البغيض الذي يمتد من عهد نوح عليه السلام مروراً باليونان فقريش إلى عصرنا المتمدن!.
2- والـثـانـيـة دعوة ذات طرح إصلاحي يعد بالنماء والازدهار وحلحلة الوضع الكاسد في البنية العددية الهيكلية ، والرواء بعد قتامة التصحر والجدب الجاثم.
3- وأما الثالثة فيمكـــن أن يعبر عنها بأنها دعوة تعميرية ناضجة ، قوامها البناء المشيد والعقل المدرك الــواعـي بأهمية استغلال الاستخلاف الممتد بالصلاح والعمل رجاء رضوان الله ، وتوحيده البتة.

4- وتأخذ الرابعة تقاسيم الدعوة الأخلاقية نحو مضامين التناسب الهرمي والمجتمعي للأمة ، والدفاع عن حـــق المرأة في الاستقرار النفسي والزواج والأمومة والتعبير الحي ، ورفض واقع البشاعة الخـلـقـيــة والتدمير الفضولي المستمر في حياتهم ، الذي ينتج عنه انقلاب الفطرة وفساد الرؤية وحـلـــــــول الخواء القيمي والروحي بسبب تلك الممارسات المرفوضة شرعاً وعقلاً وفطرة. إنها باختصار: دعوة نحو الأفق المشرق والغد السعيد والرضا النفسي الذي لا يُحد.

5- وفي الموقف الخامس تتضح أمارات الدعوة الاقتصادية المدركة ، ذات البعد الرصين والرصيد الثري من معطيات التفكير الـجــــاد والواعي الذي يحسب لكل شيء حسابه ، تأسيساً لحقائق المعاصرة من كون الغبن الاقتصادي لا يؤدي إلا إلى نتائج معاكسة لا تحمد عقباها:» إن الـمعاملات والأخلاق لابد أن تسـتـنـد إلـى أصـل ثابت لا تـتـعـلـق بـعـوامــل متقلبة«(13) ، ومن ثم تصبح نتيجة التخلي عن هذا الأصل الثابت دماراً شاملاً ، إذ »يؤتي هذا الغش والغصب ثمارهما المرة في حالة المجتمع وفي حركة التجارة ، وحين يذيق الناس بعضهم بأس بعض«(14).

إننا بعد هذا الـتـبـايـن يجب أن ندرك حقائق مهمة تكمن في مصادر التشريع ، غير أننا عنها غافلون أو متغافلـــــون ، حين يصبح الصخب واللجاجة من أهم أدوات»البروز« لدى البعض ، ومن تلك الحقائق:

أولا: أن الأسلوب في الدعوة خاضع لواقع المدعوين وحالهم التي هم عليها على نحو ما ذُكر آنفاً ، حيث خوطب كل قوم بما ناسبهم ، وبما كان أدعى لقبولهم لو كانوا يعقلون!.

ثانياً: أن الله سبحانه وتعالى رضي هذا المنهاج ، بدليل حكايته في كتابه العزيز وتصويره في أكثر من سورة بترسيخ وتثبيت ، الأمر الذي يُفهم منه أن ذلك عرض توجيهي يجب على الدعاة إلى الله تمثله والعلم به ، ملتزمين اختيار الأسلوب الأمثل في موقعه الملائم.

ثالثاً: أن شرط ذلك هو اتحاد الهدف الذي يحاول أولئك الرسل عليهم الصلوات والسلام الوصول إليه ، وهو إجماعهم على القول: »يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره« ، فهذا هو الأصل المبتغى والهدف المرام. ولأجل تحقيق هذا البيان والتأكيد عليه فقد ختمت سورة (هود) بقوله: (وقل للذيـن لا يؤمـنــون اعـمـلـوا على مكانتكم إنا عاملون) ، كما افتتحها بالتأكيد على: (اعبدوا الله ما لكم من إله غـيــره) ، وقبلها (أن لا تعبدوا إلا الله) ، فهو قد»ذكر التوحيد والإيمان بالرسل ، فهذا دين الله في الأولين والآخرين ، قال أبو العالية: »كلمتان يُسأل عنهما الأولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون، وماذا أجبتم المرسلين؟«(15).

رابعاً: أن في هذا البيان الإلهي إرشاداً خالداً يـضــعُ أساسيات العمل للدين ، بل لاتخاذ المواقف المناسبة تجاه سائر الأحداث.

إن الواجب علينا جميعاً أن نتمثل هذه الحقائق المكتنزة في سورة (هود) كيما نُخْفتْ إن لم نلغ ذلك التلاسن النقاشي الذي قلما يُفقد في منتدياتنا ومجالسنا العامة فضلاً عن الخاصة مـــع شديد الأسف حول المناهج وأهليتها الشرعية والتحصيلية في واقعنا المعاصر ، حيث بتنا نسـمـع بلا مقدمات صيحات الحط من فلان أو علان بحجة التخبط في المسار أو سوء الوسيلة يـصـاحــــب ذلك أحياناً انثيال إعلامي منقطع النظير يقف موقف الضدية منها ولست أعرف تماماً من الذي أعطى هؤلاء أو أولئك حق النقض والغمز واللمز بل من الذي أنبأهم بأن هذا المنهـج مستقيم وذاك معوج؟ إن الواقع يشهد بأن لا أحد ، وعليه فيجب الكف عن مثل ذلك التصور الخاطئ مادامت فروض المرجعية المشروطة متوفرة في الأصول لتلك المناهج ، وإن كـــــان ثمة خلاف بين المصلحين فإننا نطالبهم بتلمس العذر بعضهم لبعض ، ليس في العقائد ولكن في فرعيات النصوص وفصول الفوائد.

لقد اندرجت سنة الله فـي تقـسـيـم الإمكانات والمواهب بين الخلق تمضي على الأولين والآخرين ، ومن العبث بالعقول أن نحرم دعاتنا ومصلحينا من هذه السنة(!) فلا ندرك تفاوتهم العلمي والإدراكي والاهتمامي ، بأن نبتدع منهاجاً جديداً في الجرح والتعديل.

إن على الجميع أن يعلموا بإدراك أن ثمة معطيات جديدة برزت على السطح ، هي في تشكيلها ومضمونها متباينة مختلفة ، وأن يعلموا بإدراك أيضاً أنه قد نشأت على لوحة الأفق معالم عوالم جديدة ، تبتغي أطروحات مناسبة وتنتظر أصواتاً مكتظة بوعي جديد سديد تبدي عمقاً في التصور والفعل والممارسة والاختيار ، في وقت يُتمسك فيه بالجذور والأصول من لدن تلك الأصوات.

إن نوحاً وهوداً وصالحاً ولوطاً عليهم الصلاة والسلام دعاة إلى الله جل وعز يرتبطون مع غيرهم من سائر الدعاة بهذه الصفة، سامون عنهم بالنبوة وتشريف الوحي والتلقي، وهنا نـفـهـم أنهم فـي اختيار مناهجهم ينطلقون من رصد مضموني ودلالي لأحوال قومهم التي تناسبها تلك المناهج ، وعليه فلا عجب ولا اعتراض حينما يختار الداعية لنفسه منهاجاً في دعوته يستشعر أنه سبيله للتأثير والإقناع شريطة أن تتجذر فيه مرامي الأساس الكامنة في رباط القرآن الـكـريـم والسنة المطهرة الشريفة ، لأنهم يفتقدون ميزة امتازت بها مناهج أولئك الأنبياء ، ألا وهي التزكية من الله سبحانه عن طريق الوحي والمباشرة.

إن من الدعاة إلى الله من هم ملهمون ، جذلت الأمة يوم أن برزوا على الساحة ، يكملون نقصاً تعتبر أهمية سداده من بدهيات الإحاطة بشمولية الصحوة وعالمية الدعوة إلى الله ، فمنهم من هو مهيأ تمامـــاً للبيان الفقهي والإصابة في الفتيا حين يمتلك شروطها ، علماً بالكتاب وفهماً للسنة ومعـرفـــة بالأصول والناسخ والمنسوخ وأقوال أهل العلم وتوفر كافة متطلبات الاجتهاد وشروط التصدر للإفتاء.

ومنهم من هو مهيأ للبيان العـقــدي والتحذير من دجل المبتدعة ، وربط المجتمع بأصول الاعتقاد ، ولفت أنظارهم إلى مداخل الشيطان في التشكيك وكيفية التعامل معه ، ودحض مزاعم المفترين ، وزيادة إيمانهم بالتدارس والتعهد.
ومنهم كذلك من لا يُلْحق شأوه في المعرفة بكتاب الله قراءة وإدراكاً وفهماً وسبراً ، يسانده تعلق بالقرآن قلبي ، ونهم على كتب التفسير تمثلاً ووعياً.
ومنهم اللغوي الحاذق ، يشرح غريب النص ، ويربط بين فقراته ، ويبين بلاغته وإعجازه ويحشد الشواهد تأييداً له ، ويجعل من فقهه اللغوي خادماً لدعوته.
ومنهم الأديب ، يربي الذوق ، ويتلمس مواطن الجمال ، ويعيد للروح نشاطها وصفاءها وجذوتها ، إن من الدعاة من ينتهج أسلوب الأدب الجمالي الفني في محادثة طائفة من الناس ودعوتهم ، لا يصلح لهم إلا ذلك ، يفتح مغاليق القلوب ، ويطرق أبواباً ما كان يمكن أن تُفتح بأسلوب آخر.
ومنهم المطلع على أمور الحياة ، يلحظ مجريات الحدث ، ويرصد تحركات الواقعة يحلل ويفسر ويقرر ويستنبط ، ألمعي فطن يتسلح بإدراك شرعي يحثه على المواصلة ومتابعة واقع الأمة وحالة المسلمين، انطلاقاً من: »من تعلم سياسة قوم أحسن التعامل معهم وكشف زيفهم ورد حجتهم وذاد عن المسلمين ما وسعه الوسع« ، قياساً على: »من تعلم لغة قوم أمن مكرهم«.
ومنهم الاقتصادي الخبير، يحسن الطرح والجمع، ويفقه أحوال البورصة وتداول الأسهم ومضاربات البنوك، يحــذر من مصير اقتصادي أو يكشف زيف تلاعب ربوي، أو يمنحه الله قوة وسموقاً فينشئ لأمـتـه مؤسسة بديلة تُغنيها عن جحيم تعاملي مشبوه.
هكذا يجب أن نفهم وأن نتفهم، لا أن نـبـقـى أبـــداً نجادل في المسلمات ونصرخ بالصدى المعتاد!.
لقد أمسينا نعاني من تضخم في واقع النقد ، حيث نُكست سهام المواجهة لترتد فيما بين المُحَارَبين أنفسهم، كل منهم يحاول تلمس النقص لإبدائه، وتتبع العثرة والزلة لبيانها، الأمر الذي أثر على مستقبليات الدعوة وآمالها.
إن النقد مطلوب ، وحين يوجد النقد الموضوعي توجد الأعمال المثمرة الفاعلة ، غير أنـه نقـد ذو مواصـفات خاصة قوامها النية الطيبة، والهدف الخالص الصالح ، والعمق العلمي والمنشود ، فعندئذ نفرح به لأنه يقوّم ويُعمّر ويبني ، في حين نرفض كل الرفض ممارسات ثلة من الذين ابتعدوا عن منهاج الدعوة الحقة بنقــدهــم الجارح الذي يتجه في كثير من الأحايين إلى الشخوص وهو إن اتجه يوماً للمناهج كان ساذجاً إلى حد لا يمكن قبوله مليئاً بالفصل والحسم والرفض والتشريع والقبول والرضا من غير يقين شرعي وتفصيل يفرق بين الصالح والطالح والخطأ والصواب... وهــو نــوع مـــن الـظـلـم لا يحــــق لأحد من البشر ممارسته،فهم يملكون حق التوجيه والنقد بشروطهما المعتبرة شرعاً وعقلاً وخلقاً.

إن من أدبيات الحوار والخلاف والنقد أن يُفْسَحَ للآخر مكان ينتقد من خلاله ، لا أن تتم المعالجة من خلف الكواليس وفي عتمة الليل ، ونحن نخاطب الذين زُين لهم عملهم فرأوه حسناً ، نخاطبهم بأن تكون»قاعدة الأخلاق عندهم هي إرضاء الله وانتظار ثوابه ؛ ليصبح ما يهرف به أصحاب المذاهب لغواً في ظل النظرة الأخلاقية الإسلامية«(16).

لقد مضت أزمان النظرة الواحدة ، والمشروع الفريد ، والأسلوب الأوحد لتحل محلها النظرة السديدة الموضوعية ، والمشروعات المقترحة ، والأساليب المتنوعة ، وهي دعوة للجميع لأن يتمثلوها ، ودعوة خاصة لأولئك الذين نصبوا من أنفسهم الضعيفة مراجع للحكم ، جاعلين على رؤوسهم تيجان التفرد بالقرار والصيغة في حكمهم على المناهج والسبل المختارة والمرتضاة، ونحن في حقيقة الأمر نطرح قضية كان يجب أن تكون مسلمة من الجميع وبخاصة من يُعنون بذلك ، لأنهم مازالوا مع سورة (هود) يقرؤونها صباح مساء.

أما إن كان أولئك السادة ممن يدعون الفهم والحصافة دون غيرهم،فإننا نسارع إلى تذكيرهم بباب الاجتهاد الواسع بين أهــل العلم ، ليدركوا أن المنهج الدعوي إنما هو وسيلة لهدف أسمـى نـبـيل ، يتجسد بالعبوديــة لله على اختلاف صورها ومجالاتها ووسائلها، ولـيـس يعوزنا التدليل على ذلك الأمر ، فـهــو مبثوث في آي الذكر الحكيم ، يرتبط تمام الارتباط بحال المدعوين وماهية القضية المطروحة، فتأخذ أشكال الاختصاص والنوعية، فـي حـيـن يبقى للأصول المباركة أهميتها وجذوتها ومشروعية بثها وتعليمها للناس،تلك الأصول التي تطالب بأن تكون مرجعية للمناهج المختارة والوسائل المطروحة على كل حال.

إننا نطالب بهذا الفهم من الجميع بعموم ، وأهل القصد بخصوص حتى»يظهر وجه الموالاة والتحاب فيما بين المختلفـين في مسائل الاجتهاد، وحتى لا يـصـيـروا شــيـعـاً ولا يتفرقوا فرقاً؛ لأنهم مـجـتـمـعـون على طـلـب قـصــد التسارع فاختلاف الطـرق غير مـؤثـر، كما لا اختلاف بين المتعبدين لله بالعبادات المختلـفــة كرجل تقرّبُه الصلاة، وآخر تقرّبُه الصيام، وآخر تقرّبُه الصدقة... إلى غير ذلك من العبادات، فهم متفقون في أصل الـتـوجــه إلى الله، وإن اختلفوا في أصناف التوجه ، فكذلك المجتهدون لما كان قصدهم إصابة مقـصـد الشارع صارت كلمتهم واحدة وقولهم واحداً«(17) ، والله وحده المستعان.

الهـوامـش:

(1)الجامع لأحكام القرآن للقرطبي،ج2، ص22،طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ.

(2)سورة هود:27.

(3)تفسـير القرآن العظيم ، ج2 ، ص442 طبعة دار الفكر.

(4)»سورة هود:29.

(5)سورة هود:31.
(6)سورة هود:52.
(7)الجامع لأحكام القرآن 9/51.
(8)سورة هود:63.
(9)فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني ج2 ص733، طبعة المكتبة التجارية، مكة المكرمة.
(10)سورة هود:78.
(11)سورة هود:84.
(12)جامع البيان في تأويل القرآن للحافظ الطبري، ج2 ، ص97، طبعة دار الكتب العلمية» الأولى«، 1412هـ (بتصرف يسير).
(13)في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب رحمه الله ج4، ص 1917، طبعة دار الشروق»الرابعة عشرة« ، 1408هـ.
(14)المرجع نفسه ، ص 1918.
(15)مجموع فتاوى شيخ الإسلام رحمه الله جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد رحمهما الله م15 ص104-105.
(16)في ظلال القرآن ، ص 1918.
(17)الموافقات في أصول الشريعة للإمام الشاطبي، م1 ، ج4 ، ص 160، طبعة دار الكتب العلمية»الأولى« ، 1411هـ...

خواطر في الدعوة

أو خير هو؟!

محمد العبدة

جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قام فخطب الناس ، (فقال: لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا ، فقال رجل: يا رسول الله أيأتي الخير بالشر؟ فصمت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ساعة ثم قال: كيف قلت ، قال: قلت يا رسول الله أيأتي الخير بالشر؟ فقال له رسول الله: إن الخير لا يأتي إلا بخير ، أوَ خيرٌ هو؟ إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطاً أو يَلُم...)(1) ، أراد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أن يحذر المسلمين من فتنة المال، وهي فتنة كبيرة، إلا من أخذه بحقه ، ووضعه في حقه ، فالمال خير ، كما سماه الله سبحانه وتعالى في القرآن،ولكن الحريص عليه والشره في جمعه هو الذي يهلك، كما أن نبات الربيع خير ولكن الحيوان الذي يأكل بصورة خاطئة هو الذي يُصاب بالتخمة (ويقتل حبطاً) فالمشكلة في طريقة تناول الخير ، وطريقة أخذ الأشياء بقواعدها وأصولها السليمة إن العلم خير، ولكن إذا أُخذ كمعلومات للتكديس، ولم يتحول إلى

ما ينفع الناس في الدنيا والآخرة ، ولم يتحول إلى أداة لتغيير واقع المسلمين المحزن ، فإنه سيكون وبالاً على أصحابه ، وقد قال حكيم لرجل يستكثر من العلم دون العمل: يا هذا إذا أفنيت عمرك في جمع السلاح فمن تقاتل؟!
والعلم خير ، ولكن ما الفائدة مـــن تسويد مئات بل ألوف الصفحات حول مشكلة انتهت ومضى عهدها ، وليس لها وجود في واقعنا اليوم ، وما الفائدة من تألـيـف عشرات الكتب في موضوع واحد دون إضافة جديدة ، أو إبداع يستحق القراءة ، بل يتـهـالك بعضهم على التأليف، وتأتيهم شهوة الكتابة عندما يرى مؤلفاً ناجحاً فينسج على منوالـه تقليداً بحتاً، يلفقه من هنا وهناك دون عناء أو تعب، ورغم أن كمية المقروء في العالم الإســـلامي (3ر6) كيلوغرام مقابل سبعين كيلوغرام للفرد في الغرب ، وكمية المطبوعات (29) عـنـوانـــاً لكل مليون من السكان في العالم العربي مقابل (488) عنواناً في العالم الذي يسمونه متقدماً، كما جاء في إحصائيات اليونسكو، رغم هـذا الـكـم القـلـيـل فــإن المشكلة في مضمون هذا القليل وضحالته ، فالأمية الثقافية ضاربة أطنابها ، وطرق التعليم ووسائل التنفيذ لم تؤهل الفرد ليبدأ طريق العلم الصحيح ، وقد وصلتني أخيراً رسالة من صديق يشكو هذا الكم من الكتب التي عناؤها قليل ويذكر أمثلة على ذلك»الأحوال المطلوبة في رؤية المخطوبة« و»فصل الخطاب في رؤية الخطاب«... الخ.
لم يؤلف شيخ الإسلام ابن تيمية تفسيراً كاملاً للقرآن ، لأنه لا يريد أن يكرر شيئاً قد كُتب عنه ، مع أن التفسير كان أحب علم لديه كما يذكر هو عن نفسه ، ولذلك علق واستدرك على تفسير بعض الآيات والســـــور التي رأى أنها بحاجة إلى زيادة بيان ، إن العلم خير، ولكن كثرة التعريفات والاختلافـــات وكثرة الردود والمهابشات العلمية ، مما يربك أذهان الناس ويجعلهم في حيرة من أمرهم ، وبخاصة ذلك الناشئ المقبل على الله ، والمقبل على الدعوة، ولهذا كتب ابن الجـــوزي (تلبيس إبليس) حتى لا يُخدع طلبة العلم، وتصيبهم آفات الطلب والتأليف.

الهوامش:

(1)مسلم ، كتاب الزكاة ، ج2 ، ص 419، طبعة دار الكتب العلمية.

دراسات تاريخية

منهج التفسير التاريخي

قواعد منهجية في تفسير الحوادث والحكم عليها (3)

د. محمد آمحزون

تناول الأخ الكاتب في الحلقتين السـابقـتـيـن بالـعــرض للقواعد الثمان المنهجية في تفسير الحوادث والحكم عليها ، وتتلخص فيما يلي:
1- اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر فيما نصت عليه من أخبار وضوابط وأحكام.
2- الفهم الصحيح للإيمان ودوره في تفسير الأحداث.
3- أثر العقيدة في دوافع السلوك لدى المسلمين.
4- ذكر العوامل المؤثرة في حركة التاريخ.
5- العلم بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم ، والتثبت فيما يقال عنهم.
6- الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل وإنصاف.
7- العبرة بكثرة الفضائل.
- إحالة الحوادث على الخطأ في الاجتهاد.
ويواصل الحديث عن بقية القواعد في هذه الحلقة الأخيرة.
- الـبـيـان -

القاعدة التاسعة: الطريقة المثلى في معالجة القضايا والأخطاء:

يلــزم دارس التاريخ أن يدرس الظروف التي وقعت فيها أحداثه، والـحـــالـــة الـنـفـسـيـة والاجتماعية والاقتصادية التي اكتنفت تلك الأحداث ، والأسباب التي دفعت إلى ارتكاب الخطأ قبل أن يحكم عليه، حتى يكون حكمه أقرب إلى الصواب.. ونكتفي هنا بمثال واحد لبيان الطريقة المثالية فـي معالجة القضايا والأخطاء ، ألا وهو موقف النبي-صلى الله عليه وسلم-من صنيع حــاطــب بن أبي بلتعة حين أرسل كتاباً مع امرأة من المشركين ليخبرهم بمسير الرسول-صلى الله عليه وسلم-إلى مكة ، ومن هذه الحادثة نستطيع أن نحدد ثلاث مراحل للمعالجة العادلة للخطأ أو الحادث:
*المرحلة الأولى: مرحـلـة التثبت من وقوع الخطأ أو وقوع الحادث ، وفي هذا الحادث تم التثبت عن طريق أوثق المصادر ألا وهو الوحي.
*المرحلة الثانية: مرحلـــــة التثبت وتبين الأسباب التي دفعت إلى ارتكاب الخطأ ، وهذا الأمر متمثل في قوله-صلى الله عليه وسلم-لحاطب: »ما حملك على ما صنعت؟«(1) ، وهذه المرحلة مهمة ؛ لأنه إذا تبـيـن بـعــد طــرح هذا السؤال أن هناك عذراً شرعياً في ارتكاب الخطأ تنتهي القضية عند هذا الحد ، وإذا لم يكن العذر مقنعاً من الناحية الشرعية فإنه يصار إلى:
*المرحلة الثالثة: وفيها يتم جـمــع الحسنات والأعمال الخيرة لمرتكب الخطأ وحشدها إلى جانب خطئه ، فقد ينغمر هذا الخـطــأ أو هذه السيئة في بحر حسناته ، وهذا الذي سلكه النبي-صلى الله عليه وسلم-مع حاطب حيث قال لعمر عندما استأذن في قتل حاطب: »أليس من أهل بدر؟« ، ثم قال: »لعل

الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو غفرت لكم«(2).

القاعدة العاشرة: الاستعانة بعلم الجرح والتعديل للترجيح بين الروايات المتعارضة وبناء الصورة التاريخية الصحيحة:

ينبغي الاستعانة بمنهج المحدثين في نقد أسـانـيـد الروايات ، فهو الوسيلة للترجيح بين الروايات المتعارضة ، كما أنه خير معين في رفض بـعـض الـمتون المضطربة أو الشاذة عن الإطار العام لتاريخ صدر الإسلام.

وعلى هذا الأساس يتم اعتماد الروايات الصحيحة ثم الـحـسـنـة لبناء الصور التاريخية لأحداث المجتمع الإسلامي في عصر صدر الإسلام ، وعند التعارض يقدم الأقوى دائماً ، أما الروايات الضعيفة التي لا تقوى فيمكن الإفادة منها في إكـمـال الفراغ الذي لا تسده الروايات الصحيحة والحسنة ، على شرط أن تتماشى مع روح المجـتـمـع الإسلامي ولا تناقض جانباً عقدياً أو شرعياً ، لأن القاعدة: »التشدد فيما يتعلق بالعقيدة والشريعة«.

ومن ناحية ثانية ، إذا كان أهل الحديث يتساهلون في الرواية عن الـضـعـفـاء إن كانت روايتهم تؤيد أحاديث صحيحة موثقة ، فلابأس إذن من الأخذ بهذا الجانب في التاريخ وجعله معياراً ومقياساً إلى تحري الحقائق التاريخية ومعرفتها ، ومن هذا المنطلـق تتخذ الأخبار الصحيحة قاعدة يقاس عليها ما ورد عند الإخباريين مثل سيف بن عمـر الضبي والواقدي وأبي مخنف وغيرهم.. فما اتفق معها مما أورده هؤلاء تلقيناه بالقـبـول، وما خالفها تركناه ونبذناه.

القاعدة الحادية عشر: الرجوع إلى كتب السنة كمصدر مهم لأخبار صدر الإسلام:

وكـذلك من المفيد جداً في كتابة التاريخ الإسلامي الرجوع إلى كتب السنة إذ هي مصدر موثـوق وراجح لأخبار الصدر الأول ، لوجود روايات تاريخية كثيرة فيها على درجة عالية من الصحة، ونظراً لأن كتب الحديث خُدمتْ أكثر من كتب التاريخ من قبل النقاد ، فمثـلاً قد تميز صحيحـا البخـاري ومسلم وعرف أن كل ما فيهما صحيح بعد الدراسات النقدية التي قام بها كبار الحفاظ القدامى والدارسون المعاصرون.

وتتضاعف كمية هذه الأخبار الموثوقة بالرجوع إلى كتب السنن والمسانيد والمصنفات ومعاجم الصحـابـة ، وكتب الفضائل والطبقات ، والتواريخ التي صنفها المحدثون ، وكتابات العلماء الـذين كانت لهم عناية بشرح كتب الحديث وذلك أن ثقافتهم الحديثية الممحصة واقتباسـاتـهـم من كتب التاريخ المفقودة التي دونها المحدثون الأولون ، جعلت شروحهم غنية بنصوص تاريخية، فعلى سبيل المثال يعتبر كتاب »فتح الباري،شرح صحيح البخاري« للحافظ ابن حجر

مثلاً واضحاً لهذه الكتب وهؤلاء العلماء ، إذ يشمل من الفوائد التاريخية كمية لا يستهان بها.

القاعدة الثانية عشر: معرفة حدود الأخذ من كتب أصحاب الأهواء والفرق:

من القواعد المهمة أيضاً معرفة الحدود التي تراعى عند الأخذ من كتب أصحاب الأهواء من الفرق الضالة المبتدعة ، إما استجابة لشهوة أو هوى أو بدعوى التأويل المتعسف أو بالوقوع تحت تأثير الزندقة والكفر.

وقد اعتنى أهل السنة بضبط مذاهب الفرق وأقوالهم لتعرف أحوالهم ومواقفهم ، ويكون المسلم على بيّنة منها فلا يخدع من قبلهم.

ولهذا الغرض أفرد بعضهم ذلك بمؤلفات خاصة مثل أبي الحسن الأشعري في »مقالات الإسلاميين« ، وأبي الحسن الملطي في »التنبيه والرد على أهل البدع« ، وابن حزم في كتابه »الفصل في الملل والأهواء والنحل«.

كما أن أصحاب الفرق أنفسهم قاموا بتدوين مذاهبهم ومعتقداتهم وأخبارهم وتراجم رجالهم وعلمائهم ومناظراتهم وردودهم على المخالفين لهم ومنهم من اشتغل بالتاريخ فقام بتدوين الأخبار وفقاً لمعتقده الخاص أو مذهبه السياسي ، فأظهر مثالب خصومه وأخفى محاسنهم.

ولأجل هذا لابد للمؤرخ المسلم من التعرف على اتجاهات هؤلاء وعقائدهم ، لأن ذلك يمكنه من التعامل مع النصوص التي أوردوها بما يكون لديه من خلفية عن اتجاهاتهم وآرائهم ومواقفهم ، ثم يقارنها بغيرها عند المؤرخين أو العلماء العدول الثقات.

وعلى ضوء المقابلة والمقارنة بين النصوص ينظر إلى تعصب الراوي من عدمه ؛ فمن لاحت عليه أمارات التحزب أو التحيز لنحلة أو طائفة أو مذهب لا يؤخذ منه في هذه الحال،لأن الخصومة والتعصب حجاب ساتر عن رؤية الحقيقة أما من لا يلحظ عليه التعصب وإن كان من أهل البدع وكان صدوقاً في نفسه معروفاً بالورع والتقوى والضبط، فتقبل روايته ، فقد أخرج بعض الأئمة لنفر من أهل البدع الذين لا يكذبون ، فهذا الإمام البخاري أخرج في صحيحه لعمران بن حطان الخارجي رغم أنه من كبار الدعاة إلى بدعة الخوارج ، لكنه عرف بالورع والتقوى وأنه لا يكذب.

وقد يجد الباحث في ثنايا الأخبار التي يرويها أهل البدع عن أهل طائفتهم ومذهبهم ما يمكن أن يكون حجة عليهم وبمثابة الإقرار منهم كحكايتهم لبعض الأقوال المتضاربة والمعتلة.

القاعدة الثالثة عشر: معرفة ضوابط الأخذ من كتب غير المسلمين:

إذا كان للتاريخ الإسلامي قواعد وأصول وضوابط شرعية يجب على المؤرخ المسلم أن يلتزم بها ، ويكون بحثه واجتهاده في نطاقها ، فذلك يعني الاحتياط

عند الأخذ من كتب غير المسلمين ، خـصـوصــاً وأن الحرية بلا قيود وبلا ضوابط تلقاها العلمانيون في الغرب أو في الشرق وطبقوها على التاريخ الإسلامي بمفاهيمها المحلية عندهم.
هذا مع الفرق الشاســـع بـيـن الـمـنـهـج العلماني والمنهج الإسلامي بسبب الاختلاف في التصورات والمفاهيم والمبادئ إذ المنهج جزء من التصور مما جعل نتائج أبحاثهم ودراساتهم مناقضة للأحكام الإسلامية وواقع المجتمع الإســلامي ؛ لهذا فإن القضايا التي تطرحها كتب غير المسلمين من يهود ونصارى وغـيـرهــم، التي تعالج التاريخ الإسلامي خصوصاً الصدر الإسلامي الأول ينبغي أن تدرس بعناية وحذر شديدين ، لأنهم لا يصدقون في كثير مما يقولونه عن الإسلام ونظمه ورجاله ، ولا يحـــل وفق ذلك للمسلم أن يروي عنهم أو يأخذ منهم ، لاسيما وأن من شروط البحث في هذه القضايا عرض الأقوال والأعمال على كتاب الله وسنة رسوله .
على أن غير المسلمين ليس لديهم من الموانع عن الكذب ما لدى المسلمين ، وبالتالي فهم لا يعـرفــون هذه الموانع ، لأنهم لا يجدونها في مجتمعاتهم وبيئاتهم والإنسـان وليد بيئتـه وذلك لغلبـة التيار المادي عليها وما ينتج عنه من تنافس وصراعات دائمة. وحيث انطلقوا من واقعهم هذا للحكم على غيرهم بنفس المنظار ، وقعوا في الخطأ وعمموا الأحكام وشوهوا التاريخ.
ثم إذا كان علماء الإسلام لا يثبتون الأحكام بما يرويه المسلم ضعيف الضبط ، فكيف يحق لقوم مؤمنين أن يحملوا عن كافر ساقط العدالة! بل ويضمر من الحقد والبغضاء لهذا الدين ما لا يعلمه إلا الله.

القاعدة الرابعة عشر: مراعاة ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة:

ينبغي أن نعلم أن بعض تلك الحوادث الواقعة في صدر الإسلام لا يبررها غير ظروفها التي وقعت فيها ، فلا نحكم عليها بالعقلية أو الظروف التي نعيش فيها نحن أو بأي ظروف يعيش فيها غير أصحاب تلك الحوادث، لأن الحكم حينئذ لن يستند إلى مبررات موضوعية، وبالتالي تكون نظرة الحاكم إلى هذه الوقائع لم تستكمل وسائل الحكم الصحيح، فيصدر الحكم غير مطابق للواقع.
ومن الملاحظ أن الخلط بين الواقع المأساوي الذي يعيشه المسلمون في هذا العصر وبين واقع المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام ، يرجع إلى الخطأ في الفهم الناتج في الغالب عن الصورة القاتمة والمغرضة التي يتلقاها النشء عن تاريخ الإسلام وحضارته بواسطة المناهج المنحرفة والفلسفات الوضعية التي تعمم الأحكام وتشوه بذلك التاريخ.
ولا شك أن مصدر الخطأ في هذه المناهج والفلسفات هو تدخل أصحابها بالتفسير الخاطئ للحوادث التاريخية وفق مقتضيات وأحوال عصرهم الذي يعيشون فيه ، دون أن يراعوا ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة وأحوال

الناس وتوجهاتهم في ذلك الوقت ، والعقيدة التي تحكمهم ويدينون بها.. أو بعبارة أخرى: إن مصدر الخطأ في منهجهم هو تطبيق واقع العصر الحاضر ومفاهيمه على العصور السابقة ، مع أن لكل عصر مميزاته الواضحة التي تسمى في منهج البحث العلمي»روح العصر«.
وبناء على ذلك يمكن القول إن سبب انحراف منهجهم ومن اتبعهم في هذا الطريق هو القياس الفاسد ، إذ أنه من الخطأ لإنسان يعيش في هذا العصر عصر الأثرة والأنانية ، وتقديم المصلحة الشخصية على مصلحة الأمة، وعدم الاعتزاز بالأخلاق والمثل والمبادئ، أن يقيس هذا العصر على عصر صدر الإسـلام ، عصـر تقدير المسـؤولية ، ومراقبة الله جل وعلا في السر والعلن وبذل النفس والمال في سبيل المصلحة العامة للأمة.
فمادمنا في عصر تغلب فيه الصراعات السياسية والاقتصادية والتكتلات الحزبية النفعية، فقد قام هؤلاء بتطبيق هذا الواقع بظلاله القاتمة وسلبياته على ذلك العصر الذي كانت العقيدة والمبـدأ هي المنطلـق والأساس لتصرفات الناس فيه ، وسبب ذلك أن الكتابة التاريخية المعاصرة اصطبغت إلا النزر اليسير بالمنهج المادي الغربي الذي هو بطبيعة الحال ابن بيئته ، تلك البيئة التي تتمرغ في أوحال المادية ، وتعاني من مرارة الصراع النفعي ، ولا تؤمن بما يسمى بالقيم والمبادئ لكنها تؤمن بما يسمى بالمصالح ، ثم فوق ذلك كله هي غارقة إلى أذنيها في النظرة المتعصبة الحاقدة على الإسلام.

القاعدة الخامسة عشر استعمال المصطلحات الإسلامية:

تعد قضية المصطلحات من أشد العناصر أثراً وأهمية وخطورة في ثقافة الشعوب لأنه عن طريقها يتم تثبيت المفاهيم والأفكار.
والمصطلح كلمة أو كلمتان ، وقد لا تتعدى ذلك إلا في حالات نادرة لكن هذه الكلمة قادرة على تحويل التفكير من وجهة إلى نقيضها ، بل قادرة على أن تفقد الإنسان التفكير أصلاً .
ولأن المصطلحات بهذا القدر من الأهمية ، فإنه منذ أن تقرر في أوكار الصهيونية والصليبية تدمير الخلافة الإسلامية ، وأعداء الأمة الإسلامية يحرصون على تخريب الفكر الإسلامي ، وتشويه العقل المسلم من باب المصطلحات والمفاهيم.
فقد كـــــان من تأثير الغزو الثقافي الأوربي للمسلمين أن شاعت بينهم مصطلحات ومفاهيم غريبة عن عقيدتهم وثقافتهم حتى كادت أن تختفي المصطلحات الإسلامية .. على أن هذا المنزلق يتـمـثــل في عدم وعي الباحثين المعاصرين بأن المصطلحات الحديثة إنما تنبثق من رؤية خاصة للفكر الغربي فهي ذات مضامين ودلالات محلية وتاريخية لا يمكن فصلها عن ذلك الوسط الاجتماعي والظروف التاريخية والثقافية التي لابست نشوء هذا المصطلح أو ذاك ، فالمثقفون في العالم الإسلامي كانوا إلى مشارف الخمسينيات لا يدركون أن المصطلح جزء لا يتجزأ من التركيبة أو البنية

الحضارية لأي مجتمع وكانـــوا في حالة الدفاع عن الذات يحاولون أن يوجدوا لكل عنوان براق في المدنية الغربية مثيله في الإسلام عن طريق عقد مقارنات شكلية لا تعير بالاً للارتباط الوثيق الذي يوجد بين الـمـصـطلحات والعقائد والأفكار المنبثقة من واقع مجتمع معين.
ولنذكر على سبيل المثال مصطلح اليمين واليسار ، فقد نشأ هذا المصطلح خـــلال الثـورة الفرنسية ، وذلك في اجتماع الجمعية التأسيسية المنعقدة بتاريخ الحادي عـشـــر من شهر أيـلـــول (سبتمبر) عام تسع وثمانين وسبعمائة وألف ميـلاديـة ، حيـث جلس الأشراف ومؤيدو النظـام الملكي على يمين الرئيس وجلس خصومهم أنصار الثورة على يساره ، حتى أصبحت قاعدة تستخدم لتصنيف الفكر السياسي(3).
ومما لا شك فيه أن هـذه الخلفية التاريخية تركـت بصـمـاتـهـــا على التعريف إلا أنه في عصرنا هذا أصبحت كلمتا اليمين واليسار تعبيرين مطاطيين يختلف مدلولهما حسب الدولة والمراحل التاريخية: فاليسار في دولة ما يعتبر يميناً في دولة أخرى.
ورغم أن تصنيفات اليمين واليسار لعبة صهيونية(4) ، إلا أن بعض الباحثين مع الأسف وظفوها بصورة آلية ، حتى أن بعضهم ألفوا كتباً يصنفون فيها الصحابة رضي الله عنهم إلى يمين ويسار ، وأن قمة الصراع الطبقي في زعمهم كـانت بين زعيم اليمين معـاوية بن أبي سـفيان وزعيم اليسـار علي بن أبي طالب ، والتاريخ الإسلامي بالنسبة إلى هؤلاء عبارة عن يسار ويمين فالمعتزلة يسار والأشاعرة يمين ، والفلسفة العقلانية الطبيعية عند ابن رشد يسار ، والفلسفة الإشراقية الفيضية عند الفارابي وابن سينا يمين والمالكية الذين يقولون بالمصالح المرسلة يسار ، والفقه الافتراضي عند الحنفية يمين ، والتفسير بالمعقول يسار ، والتفسير بالمأثور يمين(5) ، إلى غير ذلك من التصنيفات الغريبة.
إنه يجب الحذر من التقليد الأعمى ، إذ يكـمــن خطر الذوبان في الفكر الجاهلي الغربي والضياع وسط مصطلحاته الكثيرة التي تفقدنا ذاتيتنا المستقلة وينبغي استعمال المصطلحات الإسلامية ، لأنها ذات دلالة واضحة ومـحــددة ولأنها معايير شرعية لها قيمتها في وزن الأشخاص والأحداث..
فالقرآن الكريم قسم الناس إلى: »المؤمن« و»الكافر« و»المنافق« ، ولكل من الثلاثة صفات محددة ثابتة ودقيقة لا تقبل التلاعب فيها.
فما ينبغي أن نحيد عن هذا التقسيم إلى مصطلحات نبتت في أوساط غير إسلامية كوصف الإنسان بأنه يميني أو يساري أو غير ذلك من النعوت غير الشرعية والتي ليست محددة بصورة دقيقة وثابتة ، وكذلك فإن الحكم على الأعمال والمنجزات التاريخية والحضارية ينبغي أن تستخدم فيه الـمـصـطلحات الشرعية وهي»الخير« و»الشر« و»الحق« و»الباطل«

و»العدل« و»الظلم« ، كما جاءت محددة فـي الـقــــــرآن والسنة ، ولا تستخدم معايير الفكر الغربي كالتقدمية والرجعية..(6).
وقد تابع الباحثون العرب الغربيين في كل شيء حتى في المصطلحات ذات العلاقة بالتوزيع الجغرافي والتوزيع الـتــاريخي التي لا صلة لها بواقعهم أو تاريخهم ، ففي إطار التوزيع الجغرافي وضع الغربيون مصطلحات الشرق الأدنى والشرق الأوسط والشرق الأقصى ، وهي مصطلحات يستعملها العرب اليوم بلا بصيرة ؛ وذلك لأن المستعمر الأوربي اعتبر نفسه في مركز الأرض فأطلق هذا التوزيع بالنسبة لموقعه.
وكذلك التوزيع التاريخي مثل العصور القديمة والعصور الوسطى والعصور الحديثة ، فهذا التوزيع يتميز بمراحــل وتقلبـات تاريخية عاشـتها أوربا مما يجعل لكل فترة مـن هـــذه الفـتـرات خـصـائص ومفاهيم مستقلة تبعاً للتطورات والانقلابات الفكرية والعقائدية التي عاشتها أوربا في كل حقبة من هذه الحقب: فالعصور القديمة تميزت بالوثنيات الإغريقية والرومانية ، ثم جاءت العصور الوسطى فعرفت هيمنة الكنيسة وتسلط البابوية ، بينما كان من سمات العصور الحديثة ظهور النظم العلمانية والدول الحديثة.. أما التاريخ الإسلامي بما فيه تاريخ الأنبياء فهو وحدة واحدة بالنظر إلى المفاهيم والمبادئ السـائدة فيـه التي لا تتبدل تبعاً لتبدل الزمان والدول والحكام ؛ لأنه تاريخ أمة ذات عقيدة واحـــدة ثابتة لا يطرأ عليها التغيير ، ولذلك ليس بلازم أخذ هذا التوزيع الأوربي ولا مـتـابـعـتهم عليه ؛ لأنه يفتت تاريخنا ويوجد الحواجز بين عصوره.
وفي الختام لا يسعني إلا أن أدعو الباحثين والمؤرخين المسلمين إلى تقديم دراسات مفصلة تكشف عن حقائق التاريخ الإسلامي، وصـيـاغـــة مـنـهـج نقــدي تعامل وفقه الروايات التاريخية، والمساهمة في تصحيح الأفكار والمفاهيم والعودة بالنــشء إلى المنابع الصافية في الكتاب والسنة ؛ لأن تاريخ هذه الأمة بمثابة عرضها وشرفها ، إذ هو القناة التي أوصلت لنا هذا الدين جملة وتفصيلاً وبقدر ما تتلوث القناة يتلوث المنقول خلالها.
ومــن الواضح أن إبراز المنهج الإسلامي في كتابة التاريخ ، وتدوين قواعده ، وبيان ركائزه ومنطلقاته، والالتزام به من أهم وسائل التصحيح المنشود في هذا السبيل، وأن هـذا الالتزام يعد ضرورة علمية ، ووظيفة شرعية وحاجة إنسانية والإخلال بها إخلال بموازيـــن العلم الصحيحة وبالأحكام الشرعية ، كما يسبب ذلك نقصاً كبيراً في الدراسة وتشويهاً للـوقائع التاريخية بل يسبب انحرافاً خطيراً في التفسير والفهم والسلوك تجاه الأحداث.
ومــــن ثم أصبح فرضاً على كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام أن يعتبر ذلك من أفـضــل العبادات ، وأن يبادر له ويجتهد فيه ما استطاع إلى أن يكون أمام شباب المسلمين مثال صالح من سلفهم يقتدون به ويحددون عهده ويصلحون سيرتهم بصلاح وكمال سيرته.

ولأجل ذلك ، لابد من محاولة جادة لإعادة صياغة التاريخ الإسلامي بأقلام إسلامية تؤمن بالله ورسوله، وتحب صحابة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، مع إحساس بدور الإسلام في الحياة ، كما تحس بدور القدوة الصالحة للخلافة الراشدة في تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا ، لاسيما وأن تاريخ الخلفاء الراشدين اختص بصفات تميز بها الخلفاء في سلوكهم الذاتي ، وفي إدارتهم لشؤون الأمة ورعايتهم لدينها وعقيدتها ، وحفاظهم على المنهج الذي جاء به رسول الله-صلى الله عليه وسلم-من الدعوة والجهاد وإقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولذلك صار عصرهم مع عصر النبوة معلماً بارزاً ونموذجاً مكتملاً ينبغي أن نسعى إلى محاولة الوصول إليه ، وجعله معلماً من معالم التأسي والقدوة الصالحة للأجيال الإسلامية في هذا العصر.

الهوامش :

(1)،(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب المغازي ، ج5 ، ص 10.

(3) عبدالرحمن الزيد ، مصطلحات سياسية ، ص 139، مجلة السنة ، العدد السادس ، أكتوبر 1990م.

(4) انظر عماد الدين خليل: لعبة اليمين واليسار.

(5) انظر مثلاً : ماذا يعني اليسار الإسلامي ، لحسن حنفي.

(6) أكرم ضياء العمري: المجتمع المدني في عهد النبوة ، ص 23.

نصوص شعرية

الفجر الدامي

جريمة ومجزرة في المسجد الإبراهيمي

د. عدنان علي رضا النحوي

دَوّى الأذانُ! فَيَا مَنَابِرُ أوّبي شوقاً إلى خُضُرّ الجنَان ورَدّدي
وكأنّ شَقْشَقَةَ الطيُور نَدَاوَةٌ رَفّت وَتَسْبيحُ الرّبى والأوهُد
وكأنّ وَسْوَسَة الزّهور تظلّ تَسأَلُ ما يُخَبّأ يا مَرابعُ في غَد
وتَنَفّسَ الوَرْدُ الغَنيّ كأنّهُ عَبَقٌ يجودُ بعطره المتورّد
يُلقي على الساحات من دَمه دَماً ليقُول: يا دُنيا أطلّي واشهَدي

***

وَتَنَفّسَ الصّبحُ النّديّ وحَوّمَتْ بَينَ الدّيار مُنى وطلعةُ شُهّد
يَسْعَون للبَيّت المنوّر بالهُدى مُستَبشرين بجَولة أو مَوعد
نعمَ البُكورُ ، وتلكَ عَزْمَةُ مُؤمن والجُمعَةُ الزّهراءُ لَهْفَةُ أرشَد
والنورُ من رمضَانَ مُنْبَلجٌ على سَاحاتهَا فَيْضاً غَنيّ المورد

يَـا لـلفَـضَـائـل! كُلّهـا قد جُمّعَـتْ لـلـصّـائـمـينَ الـقـائميـــنَ السّهّد

***

رُفـعُ الأذَان فـأقـبَـلُـوا وصُـفُوفُهم مَرصـُــوصَـةٌ وَقُلُوبُـهـــم شَوقُ الغَد
الله أكبَرُ! فــانـحَـنَـــوا لـركُــوعـهم والـلـــه يَـسـمــعُ خَـفـقَـةَ المُتَوَجّد
رَفَعوا وأهوَوا للسّجــود فَـــــلا تَرَى إلا خُـشُـــوعَ العــابـديـــنَ السّجّد
دوى الرّصاص! وخَلّفَ كُلّ رصـاصة عـات تمرّسَ في الضـّلال الأنـكَــد
دوّى الرصاصُ! فكم شَهـيد فجــرت أضـــلاعُـــه ومُــجَـنْـدَل لم يُـرفَـد
تتطايَرُ الأشـــلاءُ! كـُـلّ ضَـحـيـــّة تَـشــكُـو لبَارئهَا هَـــوانَ الهُـجّـــد
وتَلاقَــت الأشلاءُ عَـبْـــرَ فَـضَــائها منَ كُــــلّ نـاحـيـة تُـبــاحُ لمُعتَـدي
مـن أرض»كـشـمـيـر« نـداءُ دمَـائـهـــا من أرض بـوسْـنـةَ صَرخَةٌ لم تُنْجَد
مـــن كُـلّ مـجــزَرَة بَـقـــايا أمّــــــة تُلْــقَــى وتـُـنْـثَـر في الفَضَاء الأربد
أضْحَــت دمَــاء الـمـسـلـمـينَ مُباحَةً لـلـمُـجــرمـيـيـنَ! لكُلّ عَات مُفْسد
وديـارُنــا أضْحَـتْ مُـفَـتّحَــةً لَـهُــم وقُـلــُـوبـُـنَـــا فَـتحت لفتنَة مُلحد

***

يا لليَهود! وخَلفَ كُلّ مُــصـيـبـــــة فتـَــنٌ لَـهُــمْ وَيـَــدٌ! فَيَـا شَرّ اليَد!
جَـمَـعُــوا مــنَ الأحلاف بَيْنَ حبَالهم دُوَلاً فـمــاجـُــوا بـالـبَـــلاء المـُـرعِد
لا! لا يـُــريــدون الـســلامَ ولا يـُــريدُ الأمــريـكَـــانُ وَلا طبــائع مُعتدي
جـَعَـلـُــوا الـسـلام خَديعـةً نَصَبُوا بها شَـركــاً يـُــمَــدّ لـحـائــــر مُـتــرَدّد
أيــــنَ النـظَــــامُ الـعـالـميّ وأيـــنَ يــا دُنـيـا حـُــقــوقُ مـُـقـَـتّــــل ومُطرّد؟!
أيـــنَ العـَــدَالــةُ والـوُعـُـودُ وكَـيفَ يُر جى العَدل من ذئب يَجُولُ وأسود(1)؟!
يـا أمـّـتـي إن لـَـم تـُـفـيـقـي فاشهَدي أمـــوَاجَ لـَـيْــل زَاحـــف مـُـتـَـمـَـدّد
لـُـمــي صُـفـُوفك ، أمة الإسلام ، كَالـ ـــبـنـيـَـــان مـَـشْـــــدوداً بـعَـهد آكد
خُــوضــي مَـياديـن الـجـهـاد وَرَجّعي شَـوْقَ الـشـّـهــادة دوُنَ ذلك وانهَدي
يـــا أمـــة الإســـلام تـلـك أمـانـــَـةٌ وشَـهـَـــادَةٌ لـلـــه! قــُـومي فاشْهَدي
لا! لـــن يـُـقـيـمَ العـَـدْلَ إلا مُـؤمـــــنٌ صـَــــدَقَ الإله وقالَ: يَا نَفسي ردي

***

دارَ الخـلـيـل تحـيــة مـن مُـهـجــة عَــرَفـــتْ جَــلالَ جـهــادك المُتَوَقّد
قـــد كُـنت بــالأمــس الـقـريب غَنيّة بـالـبــــَـذْل زاهيــَـةً بجـُـودك واليَد
طـَـهـّـــرت أرضـَــك من تَدفّق رجسهم ورَويـتـهـا بـالطّهر من دَمك النّدي(2)
واليـومَ أعـلـَـيـت الـوفــــاءَ فـهــذه زُمـَـــرٌ تـَـــواثـَـبُ للشّهادة فاسعدي
وغـَـــداً تـَــرَيـْـنَ مَــوَاكـبـــاً مَوصُولةً للـــــه زاحـفـــةَ وطـلـعـــــة رُوّد
والـنـصـــرُ كـالـفـجــر المـنـّـور مُقبلٌ بُشـــرى إلـيـــك وآيـــةٌ لـــلمُهْتَدي

مـيلــي إلى الأقـصى! حَـنيُك لم يَزَلْ صَفْـــــوَاً وَعـَــهْـدَاً لم يَزَل أمَل الغَد
مـيلــــي هـُـنـــاكَ وجَدّدي عَهداً أبرّ لـجــوْلــــة تـُـوفـي بـصـدْق الموعد
***

الهوامش :

(1) الأسود: الحية العظيمة.

(2) إشارة إلى ثورة سنة 1929م حين طَهّر أهل الخليل مدينة الخليل من اليهود وأعدم الإنجليز على إثر ذلك »عطا الزير ومحمد جمجوم« من الخليل و»فؤاد حجازي« من مدينة صَـــفَد ، وقد نفذ الإعدام يوم الثلاثاء 17/6/1930م ابتداءً من الساعة الثامنة صباحاً، وكانوا يقدمون في كل ساعة واحداً منهم للإعدام ، رحمهم الله.

المسـلمون والعالم

البوسنة على مفترق طرق

د. أحمد بن راشد بن سعيّد

منذ بدء المأساة البوسنية اجتهد الغرب في أن يفك الحلف بين المسلمين والكروات، الحلف الذي اعتبره الغرب غير طبيعي، لأنـه مـوجــــه ضد الصرب الذين يلتقون مع الكروات في عبادة المسيح! ، وكانت الخطة الإنجليزية الخـبـيـثة »بتطميع« الكروات في أراضي المسلمين عبر خطة (فانس ، أوين) هي إحدى الوسائل التي انتهجها الغرب لفك هذا الحلف، وقد انقــض الكروات بعد هذه الخطة يحاصرون موستار وترافنيك وغيرهما من المدن الآهـلـــــة بالمسـلـمـيـن ؛ لأن الخطة المجحفة أعطتها الكروات.. وبعد برهة أعلن الغرب أن الخطة فشلت وأن (الملاذات الآمنة) هي الحل الوحيد الذي بقي للمسلمين في البوسنة!

ثم كرت الشـهـور ، وقاتل المسلمون ببسالة الخونة الكروات والمعتدين الصرب ، بل قاموا بعمليات هجومية ناجحة ضدهم ، ودحروا الكروات بخاصة في عدة مواقع ، وأنزلوا بهم هزائم فادحة، وتدخــل جيش كرواتيا النظامي في محاولة يائسة لوقف التقدم الإسلامي، فلم يفلح.

وكان الموقف الغربي إزاء هــذه الأحداث المصيرية في حياة المسلمين موقف المراقب المتوتر الأعصاب ، فتارة يشجب الاعـتـــــداء الصربي ، وتارة يستنكر تدخل كرواتيا ، ويلوح بالعقوبات ضدها ، وبين هذين الموقفين يدعو إلى عقد مفاوضات سلام فارغة لتقنين الظلم وتكريس العدوان.

بيد أن المسلمين خيبوا آمال المعتدين وحلفاءهم الغربيين،وسيسجل التاريخ أن أهل البوسنة المسلمين صمدوا صمود الأبطال في معركتهم الشريفة ضد القوى الظالمة ومن وراءها الحضارة الغربية المتخلفة ، وأنهم قاتلوا بعدة

زهيدة صنعوها بأيديهـم جيـوشاً مدججة بالسلاح، وأنهم نجحوا سياسياً وعسكرياً في إفشال مؤامرة الإجهاز على الإسلام في قلب أوروبا.
أقول: ظـــل الغرب يرقب الأحداث وقد أذهله صمود المسلمين وتقدمهم إلى أن حدثت مذبحة السوق في سراييفو يوم الخامس من شباط (فبراير) الماضي فعمقت الشعور بالحرج لدى العالم الغـربي ، وأكدت الحاجة إلى عمل ما لوقف المأساة التي لم يستطع الصرب والكروات حسـمـهـا ، وقد لخص هذا الشعور الذي كان سائداً لفترة طويلة قبل مذبحة السوق قول»مارتن وولاكوت« في صحيفة»الجارديان« أن»رفض الضحايا المسلمين لقبول الهزيمة والموت قد حطم أسوأ الخطط الغربية«(1).

إستراتيجية جديدة:

بُعيد المذبحة سـلـكــت الـسـيـاسـة الغربية محورين جديدين هما: محاولة احتواء المقاومة البوسنية المتصاعدة،والسعي لإقامة فيدرالية بين المسلمين والكروات ، وقد ساهم في إحداث هذا التغير عوامل مهمة ظهرت على الأرض أبرزها تنامي القوة العسكرية البوسنية ، وقد نشر»بول بيفر« مؤلف كتاب (تقويم الأمـــن الإقليمي للبلقان) مقالاً في صحيفة» الوول ستريت جورنال« الأمريكية بعنوان (ما وراء القـــوة الـجـديـدة لـلـجـيش البوسني) ذكر فيه أن هذا الجيش يتلقى الآن إمدادات عسكرية وأسلحة حديثة،وأن جنوداً مدربين من خارج المنطقة قد انضموا إليه ، وأضاف»بيفر« أن الجيش يتكون مـــن (80.000) مقاتل، وينقسم إلى ستة فيالق (كل فيلق 10.000) ، ولواءين (كل لواء 20.000) ، جنود اللواءين هم الذين يقاتلون بضراوة ويحققون انتصارات حاسمة ، أحد اللواءين كـمــا يقول» بيفر« يتألف من (إسلاميين أصوليين متطوعين) ، والآخر يتألف من لاجئي منطقة »كرايـيـنــا« الـتي احتلها الصرب في كرواتيا (2).
ويحصل الجيش على أسلحته من مصانع السلاح التي أعاد تشغيلها في وسـط البوسـنة ، وقــد بـدأ بإنـتــاج مـدافــع من عـيـار (105مـلم) في مدينـة»زينكـا« (3)، كما يحصل على السلاح من غنائم المعارك سيما مع الكروات وتصل إليه أسلحة من تركيا (4)،ويذكر»مارتن دولاكوت« كاتب صحيفة»الجارديان« أن البلاد الإسلامية تزود البوسنة بالسلاح بشكل غير مباشر حيث تقوم بتحمل أعـبــاء مالـيـة معينة للحكومة البوسنية ، فتقوم هذه الحكومة بتوجيه كل مواردها للمقاومة (5).
ومن العوامل المهمة التي أحدثت تغييراً في السياسة الغربية تجاه البوسنة فشل الكروات في تحقيق نصر على المسلمين ، بل إن النصر كان بفضل الله حليف المسلمين في معظم المعارك التي نشبت بينهم وبين الكروات، كـمـــا إن الـصــــرب فشلوا في اقتحام »سراييفو وتوزلا وجوراجدة وبيهاتش وماجلاي ...« ويقول »مارتن وولاكوت« أن الذي تغير في البوسنة هو أن

المسلمين رفضوا أن يؤدوا دور (الضحية) الذي خصصه الغرب لهم ، واختاروا المقاومة ولذا فإن »الاستراتيجية الغربية أفلست وانهارت«(6) (تأمل!).
ويبقى العامل الأخير والأهم لتغير الاستراتيجية الغربيـــة في البوسنة هو الخوف القديم الجديد من ظهور دولة إسلامية خالصة وقوية في أوروبا تقــض مضاجـــــع الكفر وأهله ، ولذلك اعتمد الغرب كما أسلفت محاولة احتواء المقاومة الإسلامية والسعي لإنشاء اتحاد فيدرالي في البوسنة بين المسلمين والكروات يرتبط لاحقاً باتحاد كونفدرالي مع كرواتيا.

احتواء المقاومة:

وكانت الخطوة الأولى التي قام بها الغرب في استراتيجيته الجديدة هي توجيه إنذار بُعيد مذبحة السوق بشأن شن غارات جوية على مواقع الأسلحة الثقيلة في» سراييفو»، ولم يكن الهدف من هذا الإنذار ردع العدوان الصربي والكرواتي، فقد تحدث فـقـط عن سراييفو، وأغفل معاناة المسلمين في الأماكن الأخرى مثل »توزلا وماجلاي وبيهاتش« ، ولـم يـطـلـب الإنذار إنهاء حصار »سراييفو»، ونص فقط على سحب المدفعية الصربية مسافة (20كم)، مع أن الصرب يملكون مدافع يتجاوز مداها هذا الرقم ، كما أنهم يملكون أسلحة أخرى فتاكة كالرشـــاشـــات والمدافع الخفيفة وبنادق القنص، وطالب الإنذار الجميع بتسليم أسلحتهم الثقيلة مما يؤكد استمرار الغرب في معاقبة الضحية ومكافأة وإرضاء المعتدي.
وقد اتضحت ملامح مؤامرة جديدة بانتشار بضع مئات من الجنود (الروس) على جبال سراييفو(7) بالرغم من اعتراض الحكومة البوسنية الشرعية على قدومهم بدعوى أن روسيا غير محايدة فــي الصراع ، إلا أن بطرس غالي أكد موافقـته على ذلك ، ولم يعر اهتماماً لاحتجاج الحكـومــة ، كما اقترحت فرنسا وضع»سراييفو» تحت إدارة الأمم المتحدة غير عابئة بسيادة حكومة البوسنة وقد سارع (البطرس) إلى إبداء موافقته على الاقتراح حتى قبل مناقشته من قبل الاتحاد الأوروبي ومجلس الأمن(8) ، ويتساءل »أنتوني لويس« كاتب »النيويورك تايمز« قائلاً : »هل وقف البوسنيون أمام اعتداءات الإبادة خلال العامين الماضيين ليحكمهم في النهاية» بطرس بطرس غالي« وبيروقراطيته الحمقاء؟!« (9).
ولقد صُممّ الإنذار ليخــدم مصالح الصرب ، فالمسلمون لابد أن يسلموا أسلحتهم الثقيلة حيث لا يوجد مكان ينسحبون إليه، والصرب سلموا مئة مدفع قديمة من بقايا الحرب العالمية الثانية وسحبوا (400) استعلموا بعضاً منها مؤخراً في قصف» بيهاتش وماغلاي« ، وقد صرح مسئول بوسني بأن القضية كلها »خدعة« قائلاً : »الأمم المتحدة موجودة هنا لتساعد الصرب، فبينما يتركز الاهتمام على سراييفو يحاول الصرب أخذ بيهاتش، إنهم يحاولون وصل كينين ببانيالوكا« (10)

إن فكرة وضع سراييفو تحت إدارة» بطرس غالي« ليست أصلاً فكرة فرنسا بل هـي فـكـــــرة الصرب ، وقد صرح» يوفان زاميتيشا« أحد مستشاري المجرم »رادوفان كاراجيتش« أن» سحب الصرب أسلحتهم أو وضعها تحت إشراف الأمم المتحدة لم يكن نتيجة للإنذار ، إن وضع سراييفو تحت الإدارة الدولية كان مبادرة صربية طرحت قبل مذبحة السوق بوقت طويل، اهدموا سراييفو واجعلوها نموذجاً صالحاً لبقية البلاد ، هذه كانت فكرتنا«(11).

في الحقيقة إن إبعاد المدافع الصربية (20كم) وانتشار الروس على الجبال يعني استمرار حصار سراييفو ، ولكن على بعد (20كم) بدل (5 كم) كما كان الحال سابقاً ، إنه يعني تجميد الحصار وتقنينه رسمياً من قبل الأمم المتحدة ، كما يمثل مدخلاً لتقسيم المدينة.

وإذا تم نـقــل هذا النموذج إلى المدن المسلمة الأخرى المحاصرة كما دعا إلى ذلك بعض السياسيين والصحفـيــن الغربيين ، فإنها دعوة لاحتواء المقاومة البوسنية ، وتكريس المكاسب الصربية ، وتقسيم البلاد أو دعوة لخنق الشعب المسلم في البوسنة »بخيط أزرق رفيع« وجعله» سعيداً فقط بقوافل الطحين« (12).

الاتحاد الفيدرالي:

لقد أدرك الغرب أخيراً أنـــــه لا مـفـر من قيام كيان إسلامي في البوسنة ، كما أدرك أن المسلمين لن يتخلوا عن خيار القـتــال حتى تتوفر لكيانهم المنتظر أسباب البقاء والحياة ، ويرى بعض المحللين مثل» سعـيـد عكاشة« أن أوروبا ليست على استعداد لتحويل مسلمي البوسنة إلى مهاجرين في شتات أوروبي يتوقع توحيده في غضون سنوات ، كما يذكر أن بعض مفكري أوروبا يرون أن تشتت مسـلـمـي البوسنة »سـيـصبح دعماً لروح التمرد على الحضارة الغربية التي يقودها مهاجرو العالم الثالث في الغرب في الآونة الأخيرة« ، ولذلك يخلص»عكاشة« إلى القول: إن الخوف الأوروبي من القضاء عـلـى الـكـيـان الإسلامي له ما يسوغه (13).

غير أن واقع الأمر يشـير إلى أن الغـرب لم يفكر بهذا الذكـاء منذ البداية بل دفعه الحقد الصليبي إلى محاولة إبادة الشعب البوسني وتذويبه، وهو الآن يبدو مرغماً على الاعتراف بوجود سياسي حقيقي للمسلمين في البوسنة، بعد أن فشلت محاولة الإبادة وصمد الشعب البوسني في ميادين القتال ، وعاد بعض أبنائه إلى (الأصولية) كما يقولون ، ولم يبق أمام الغرب بعد فشل التحالف الكرواتي الصربي ضد المسلمين إلا السعي لإقامة اتحاد فيدرالي بين الكروات والمسلمين يتحد بعد ذلك كونفدرالياً مع كرواتيا ، ويهدف الغرب من ذلك إلى عدم قيام كيان إسلامي خالص، بل مقيد داخلياً بالفيدرالية وخارجياً بالكونفدرالية، وقد أشار»فرانيو توجمان« رئيس كرواتيا إلى أن أمريكا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا» بذلوا جـهوداً مهمة في سـبيل التوصل« إلى هذا الاتفـاق وصرح أن السبب في ذلك هو أن»هذه الدول تريد أن يتوجه

المسلمون نحو النمو والتطور حسب الحضارة الأوروبية بعيداً عن الأفكار الإسلامية الأصولية«(14) ، وهذا الكلام يدل على عدم وجود خلافات جوهرية بـيـن الدول الغربية فيما يتعلق بمسألة البوسنة ، فالكل متفقون على مكافأة العدوان الصربي وعلى عدم قيام دولة إسلامية.

وقد ضـغـطـت الولايات المتحدة على الحكومة البوسنية لتقبل بهذا الاتفـــاق ووعدتها بما وعدت به كـرواتـيـا من مساعدات اقتصادية وامتيازات دبلوماسية وانضـمـــــام إلى برنامج الشراكة من أجل الـســلام ، كما حذرتها من أنها إذا رفضت توقيع الاتفاق فإن أمريكا »لن تتدخل لإيقاف تدمير مـــــا تبقى من البوسنة«. من جهة أخرى اقتنع الكروات بأن سياسة (كرواتيا الكبرى) جلبت فـشــــلاً ذريعاً وهزيمة ساحقة وكارثة (علاقات عامة) في الخارج، كما جاء التلويح بالعقوبات والـوعد بالمساعدات ليحمل كرواتيا على القبول بالاتفاق،وربما يرى الكروات أن الاتفاق فيه مصـلـحــة مرحلية لهم فيؤجلون مشروع (كرواتيا الكبرى) إلى حين وتتساءل مجلة »الإيكونومست«: هــــل يدعهم الأمريكان يفعلون ذلك ويتـخـلـون عـــن وعودهم؟(15)

تـجــدر الإشــــارة إلى أنه حتى كتابة هذه السطور* لم يتفق الطرفان المسلم والكرواتي على بعض النقاط الأســــاسية كالدستور وتقسيم الأراضي وموعد تطبيق الكونفدرالية ، على أية حال يبقى المشروع غير عادل في حق المسلمين الذين كانوا يشكلون (44%) من مجموع سكان البوسنة والهرسك قبل الحرب وربما كان قبول الحكومة البوسنية به كخيار تكتيكي يحقن دماء الـمـسـلمين ويهـيـئ قاعدة لحلول مستقبلية أفضل ، ولنا أمل في وعي مسلمي البوسنة الذي أفشل كثيراً مـــن المؤامرات السابقة ، وقبل ذلك نحن موقنون بوعد الله بالنصر لدينه والـتـمـكـيـن لعـبـاده: ((إنـهـم يكيدون كيداً ، وأكيد كيداً ، فمهل الكافرين أملهم رويدا))
[الطارق:15-17].

الهـوامـش:

(1)(الغارديان)، 21يناير 1994.

(2)(الوول ستريت جورنال)، 27يناير 1994، تتمثل القدرة التعبوية لجمهورية البوســنـة في مئتي ألف عنصر مدرب ، إلا أن القوة الضاربة المسلحة لا تتجاوز ثمانين ألفاً.

(3)(القبس)، 27يناير 1994.

(4)(الوول ستريت جورنال)،27يناير 1994،صرح نائب القائد العام لأركان جيش البوسنة »بوفان ديفياك« لصحيفة» الحياة« أن مصانع إنـتــاج السلاح في وسط البوسنة تمد الجيش بثلاثين في المائة من احتياجاته ، وتمثل الغنائم الحربية مصدراً ثانياً للتسليح ، بينما لمح إلى وجود قنوات سرية لوصول السلاح (الحياة، 27جمادى الآخرة 1414هـ).

(5)(الغارديان)، 21يناير 1994.

(6)المصدر السابق.
(7)ذكرت صحيفة»الأوبزرفر« البريطانية أن أكثر الـجـنـود الروس الذين انتشروا على جبال سراييفو قد قاتلوا المجاهدين في أفغانستان ، كما ذكرت أن صحيفة» البرافدا« الروسية الرسمية نشرت صورة محارب مسلم كتب تحتها»البوسنة: دم يسفك ، الجنود الروس سيقفون ضد المسلمين المتعصبين المتوحشين« الأوبزرفر،20فبراير 1994).
(8)من المواقف الأخيرة الشاهدة على كون» بطرس غالـي« أحد مجرمي الحرب في البوسنة اتهامه مؤخراً المسلمين باستغلال المناطق الآمنة كـسـتـــار لشن هجمات على المواقع الصربية ، وذكر» غالي« في تقرير قدمه لمجلس الأمن أن جيش المسلمين استخدم مدن» زيبا وسربيرنتشا وجوراجدة« كمواقع لتوفير الراحة وإعـــادة التدريب والتسـلـيـح، وأوصى بعدم إعلان أي مناطق آمنة أخرى حتى تتم تصفية هذه المشاكل في المناطق الآمنة الحالية (الأنباء، 16مارس 1994).
(9)(انترناشونال هيرالد تريبيون)، 12، 13فبراير 1994.
(10)الأوبزرفر، 20فبراير 1994.
(11)نيوزويك، 21مارس 1994.
(12)الأوبزرفر، 20فبراير 1994.
(13)الوفد، 19شعبان 1414هـ.
(14)الحياة، 17رمضان 1414هـ.
(15)الإيكونمست، 5مارس 1994.
*تم التوقيع الأولي بين الطرفين، لكن النقاط الأساسية كالدستور وتقسيم الأراضي لم تحسم بعد.
-البيان-

المسـلمون والعالم

مجزرة الدم الأرخص...
وزعامات الورق!

د. عبد الله عمر سـلطان

في غمرة الفرح الطاغي وثنايا الانـتـصـار الذي أعمى وأصم ، خرجت يرقات»السلام« الذليل تعلن للدنيا وتملأ الكون هتافاً أن أهلاً (بالـعـصـــر الإسرائيلي) وأدواته ، وأن عاش الذئب الصهيوني مادام أزلام القضية قد نجحوا في توقـيــع اتـفـــاق البـيـت الأبيض الذي ستتم بموجبه عملية جز الرقاب برعاية (الجزار الأمريكي)»راعي السلام«... نعم إنه السلام الذي لا حرب بعده أبداً والتعايش الذي لا يعكر صفوه»المتطرفون والأصولـيـون

والمتعطشون للدماء« وما هي إلا بُرهة خاطفة من عمر الزمن حتى اكتسب»سلام الصَغَار« صـفــة القـدسية وارتفع بهامته إلى مكانة المُشّرع الحكيم ، فإذا فكر فلسطيني مشرد منذ نصف قرن عن موطئ قدم له في ظـل (كانتون غـزة أريحا) صرخ في وجهه غراب الصفقة»عدوي عدو السلام«! وإذا ما تساءل مقدسي محروق القلب محطم الخاطر عن مصير القدس،تصدى له المتحدث الرسمي باسم معسكر السلام »إن هذا التساؤل حق يراد به باطل ، يراد به تعكير جو السلام!« وإذا ما تحدثت المصادر الإسرائيلية المسيطرة على تنفيذ الاتفاق وتفسيره على هواها الضال عن تعاون مخابراتي وأمني لملاحقة كل من يعكر صفو أمن الصـهـايـنـــة ونُقل هذا الاتفاق إلى العرب المنكسرين ، لم يجد إنكشارية السلام الجدد من حرج في أن يبرروا هذا الاتفاق بأنه »لمصلحة العملية السلمية الجديدة«!.
كل الخيانات وفقدان الذمة والحياء وإراقة ماء الوجه وكسر الظهور وهي راكعة لعجل بني إسرائيل الجـديــد ، كانت تتم في ضوء النهار بعد أن كانت حبيسة الـغـرف الــمـغـلـقـة والاتـصــالات السرية ، لم يعد هناك شك أو تساؤل في أن» سلام الصهاينة« أصبح القاسم المشترك لكل من يريد أن يُطأطئ رأسه ليسير في جادة (النظام العالمي الجديد) المشؤومة ، ولم يعد هناك صـــوت يعلو فوق صوت »السلام« أو قضية تحدد الولاء والبراء سوى مذهب السلام العاتي ، إذا كـنـت مـــن المشيدين بالسلام على الطريقة (الرابينية) فأنت واقعي معتدل بعيد النظر ، وإن كنت ممن يبدي حوله أي تحفظ فأنت راديكالي رجعي بشع... إن كنت قد شـاركت في»الدبكة العرفـاتـيــة« ورقصت فيها طـوعاً أو كُرهاً فأنت إذاً (شرق أوسطي) متفتح وعقلاني غير مؤدلج ، وإن كـنـت اكتفيت بمشاهدة هذا (الصَرَع السياسي) فلا بد أنك (أيدلوجي شعاري إسلاموي محنط)!!
المرحلة لا تحتمل القسمة على اثنين ، المرحـلـــة لا تعرف إلا رقماً واحداً وعنواناً يتيماً» السلام« وأنصاره و»التعايش« مع اليهود ومؤيديه ، حـتـــى لو حُشر في هذا الطابور المنافقون والمرتعدون والمنهزمون والشواذ والمتاجرون والراقصون على كل جرح من جراح شعوبهم ، فأمريكا أيها السادة لها وكيل اسمة»إسرائيل« ، وإسرائيل يا رعاكم الله قد أصبح لها وكلاء محليون ، فالسند متصل لا انقطاع فيه ، من ساند سدنة السلام العرب كان له حبل مودة مع سادة صهيون ، ومن ناصر هـــؤلاء فله قدم سبق مع الســادة الكبار هناك خلف بحر الظلمات الأطلنطي ، ومن هنا تتضح معالم المرحلة ، مـرحلــة السلام الصهيوني الصليبي الذي أصبح عجلاً يعبد ، ووثناً تحرق بخور الباطل من حوله.
لكن عروقاً تنبض بالحق ، وتأبى أن تُغَلف بالدولار الأخضر ، وقفت تحذر من هذا السلام الهزيل ، وتلك الهجمة الباغية ، وقف صوت يقول في يوم توقـيــع الصك المخزي ليرسم لوحة مبصرة في وجه ضجيج وبريق وموسيقى صـهيون

ومعسكرها الناطق باللغات الثلاث: العبرية والعربية والإنكليزية وقف وهـــو لا يـمـلــك ســوى قـلـمــاً خــط قصيدة تقول
سينبت هذا السلام الدمار
ويوقد في كل ناحية ألف نار
حذار.. حذار
فإن يهود تعاهد في الصبح عهداً
لتنبذه في المساء
وتبرم ميثاقها في المساء
لتنقضه في الصباح
وما عرفت مرة بوفاء
وما عرفت ذات يوم بحسن الجوار
حذار من الإنهيار
بزيف انتشار ، ووهم انتصار(1)
لـكـن القـائــد الهرم والـمنتفش بالوهم والزيف أصر ، وأقسم بأن يمضي إلى نهاية الطريق الموحش ، فأنـبـت لـنــا غابة من (هتافة التهريج) ، ومروجي التطبيع الذين خلت لهم الساحة فأطلقوا العنان لألسنتهم الجبانة ، وأقلامهم المأجورة وضمائرهم التي طالما تقلبت في ولاءاتها في سوق النخاسة ، خلا لهم الجو حيناً ثم فاجأهم هول أتى من جهة الأرض المقدسة ، فأخرسهم دوي الرصاص في فجر الخامس عشر من رمضان ليصرخ دم المصلين في محراب (المسجد الإبراهيمي) ، فإذا المأجورون عراة إلا من الخسة ، وجوعى إلا من فتات الموائد ، خائفين من شعوبهم التي مارسوا في حقها الشعوذة السياسية والعقدية.
لقد كان معسكر» سلام الصـَغَـار« صَغَاراً حقاً ، أمام حقائق رمضان ومشاهد السجود والركع الغارقين في دمائهم ، وشموخ المساجد التي انتهكها حلفاؤهم الصهاينة بحماية الرصاص الأمريكي.
ماذا بقي لهم أن يدافعوا عنه، هذه حليفتهم أمريكا تبدوالشريك الكامل في »الإرهاب البشع« الذي وصل ذروته في مجزرة الخليل، فالقاتل أمريكي وسلاحه أمريكي ، وتمويله أمريكي، أما الصهاينة بقيادة رابين فقد شاركوا في المذبحة مباشرة من خلال جيشهم الذي حصد من أرواح المسلمين هناك عشرات بل مئات القتلى الأبرياء والصامدين، وتـحـصــن الـمـعتدون بصياحهم أحياناً أخرى كثيرة يمارسون الاغتيال حتى في حق الأطفال الذين سرقـــوا من عيونهم الفرحة وبراءة الطفولة ، لقد شاءت إرادة الله أن تُظهر المجرمين وأيديهم ملطخة بدم المصلين الركع السجود ، وقد حمل كل ضالع في هذا المشهد المقزز جرمه أمام العالم ، ثم أمام هذه الأمة المصابرة المذبوحة كل نهار ، ولم يكن رصاص (باروخ جولدشتاين) سوى الـمـشـهــد الأخير من مسرحية السلام الصهيوني ورايته السوداء الموغلة في الخسة، وما

أحرانا أن نقف أمام بعض دلالات الجريمة وتداعياتها بعد أن عرفنا تفاصيلها السردية ، وبعد أن استشعرنا حجم»الاستغفال والاستنذال« الذي مُورس على الجماهير العربية والمسلمة والذي أطلــــق عليه »عملية التطبيع« ، هذه الجريمة التي قادتها مجموعات وقوى معينة تسعى إلي تمكين الاختراق الصهيوني من عمقنا الجغرافي والشعبي ، وبدا واضحاً أن هذه القوى التي تطبعت تريد أن ترى سواد الأمة قد تطبع وهم يمنون أنفسهم بالواقع الذي تصدق عليه المثل »بال حمار فاستبالت أحمره«.

الدم الأرخص:

كأن النظام العالمي الجديد قد حدد تسعيرة الدم الإنساني ونجح في ذلك أيما نجاح ، الدم المسلم بلا ريب هو الأرخص والروح المسلمة هي المستهدفة في مسلسل العدوان المحتدم منذ انهيار الحرب الباردة ، ولابد للعالم المتحضر ولحضارته الغربية أن يذرف دموع التماسيح ويتظاهر بالاهـتـمـام حينما تقع المجازر المروعة لتأكيد تحضره وأصوله المهذبة ، فمذابح سراييفو وكشمير وفلسطين وبورما والصومال وطاجيكستان تلقى اهتماماً صوتيا/إعلامياً قصير المدى ثم يوأد بانتظـار المجزرة المقبلة ، إن هذا الاستهتار بهذا الدم المسلم يبرز من خلال ممارسة الأمم الصليـبـيـة المتحدة التي يرأسها البطرس العربي اللسان النصراني الجنان ، ويكفي أن نستعرض آلية عـمـــل هذه الهيئة تجاه مجزرة الخليل التي استمرت مناقشات مجلس الأمن الظالم حولها أسابـيـــع دون إصدار حتى قرار يدين مجزرة هي الأبشع في التاريخ الإنساني المعاصر ، ثم تَحّجُم هـــذه المؤسسة»الإنسانية جداً« عن إدانة الهند عن ممارساتها في كشمير بالرغم من أن الهند دولـــــة محتلة لهذا الإقليم بموجب قراراتها الشكلية التي لا تعرف التطبيق الفوري والحرفي إلا على أجسادنا وفوق أراضينا المستباحة.
أزهد الأرواح عندها أرواحنا، وأبـخــس الـدمـــاء دماؤنا، وأثمن الرصاص هو المزروع في أجسادنا نبالماً وقنابل إنشطارية وأخرى»ذكية« ، أما إذا كان المستهدف على أرضنا عصابة مسلحة ومليشيا تمنع الطعام حتى عن مناصريها ، فإن هذه الأمم المتحدة ضدنا تشمر عن ساعد الجد والنشاط فتصدر القرارات في ظرف سـاعـــات لأن الضحية نصراني مزروع في خاصرتنا كما هو الحال مع الصليبي (جون جرنج) الذي أرسلت الأمم المتحدة مبعوثاً دولياً لمراقبة» حقوق الإنسان الصليبي« فلم يجد بأساً من مهاجمة الإسلام»البربري« الذي يميز بين البشر حسب معتقدهم (كما يرى) بينما تميز شرعة الغاب وذراعها المرعب بين الأجساد المسلمة وتلك الكافرة فترمي الأولى بالمجازر وتلاحق أبرياءها بقرارات الحصار والتجويع والرعب!! وتشجع الأخرى بالمال والسلاح والدعم الإعلامي المستمر.
لقد تحولت بوصلة الصراع في عمقنا الشعبي من صـــراع أوطـان ونزال عناصر إلى الحقيقة الذاهلة الشاردة حيناً من الزمن ، فإذا بالشعوب تدرك مع

مـطـلــع كـل مجزرة وأنباء كل حصار أنها مستهدفة لإسلامها وعقيدتها ، وأن القائمة التي كانت تـسـتـهــدف حدودها الشرقية اليوم ستنال من نواحيها الغربية غداً أو عمقها الأوسط بعد غد ، فالهجمة مستعرة ولا تعرف لدمويتها حداً، أرخص الدماء اليوم سيكون له ثمن غداً ، حينما يسيل في بقاع لم تكن تعرف من دينها سوى مظاهر شكلية أو مناسبات موسمية،فتنقلب الدماء إلـى وقود والأجساد الهائمة إلى شموع توحيد،والمجازر المتتالية إلى صواعق كـهـربـائـيـة تـبـث في الأوصال الميتة ذرات الإيمان المتوهج.

الغرب اليوم في ظل هجمته الشرسة يستخدم أسلحة المقاطعة الاقتصادية والحرب النفسية، ويبرمج لإحداث زلازل سياسية وأزمات اقتصادية خانقة تصـب في النهاية في مصلحته ، ولا يمكن أن نجد سـائلاً أرخص من الدم المسلم هذه اللحظة سوى»النفط العربي« الذي وصل سعره إلى أدنى مستوى منذ حرب (73م) ، أليس من المستغرب حقاً أن تكون ثروة الأمة البشرية والمادية هدفاً مستباحاً ومباشراً في ظل هذا التردي المفجع؟!

كلهم جولدشتاين:

أظـهــرت تحقيقات (اللجنة الصهيونية المُشَكّلَة) للتحقيق في المجزرة الوجه البشع لهذه الصهيونية المغروسة دولياً المدعومة من قبل الدول الكبرى المتكالبة على القصعة المستباحة، حاكم الخليل»الجنرال جولدشتاين« قال: إن هناك توتراً أمنياً متصاعداً منذ أكثر من عــام وأنه نبه إلى ضرورة ضبط »المستوطنين« حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه.

جميلة هذه الديموقراطية الإسرائيلية الخائفة على دماء بني الإسلام في الخليل ، ورائعة هذه الشهادات الإنسانية للدولة الديموقراطية الوحيدة وسط قطيع العرب الهمج!!

ما لا تحمد عقباه ، ترجمه جنود »جولدشتاين« الثاني قائد منطقة الخليل بأكثر من اثنتي عشر صفحة سقطوا وهم في ريعان الشباب بعد المجزرة ، أما أرقام الضحايا الذين سقطوا قـبــل الـمـجـــزرة بقيادة »جولدشتاين العاقل« فلا تقل قطعاً عن عدد ضحايا ذلك المأفون المجنون.

وبين »الـعـاقـل« و»الـمـجـنــون« علينا أن نصالح»الجنون« اليهودي الذي يريد رابين ومن خلال مؤسسته الصهيونية أن يـصـنــع سلاماً معنا ، بموجب »روح السلام« وقوانينه يجوز لجيش رابين وجولدشتاين الثاني أن يمزق أجساد النساء والشيوخ والأبرياء بلا تحفظ ، فالضحايا هم من الأصوليين المتطرفين أعداء السلام ، ويجوز لجولدشتاين الأول وزمرة المستوطنين أن يصطادوا ضحايا »جيش الدفاع« حين يستفز المصلين في حرم الأقصى، ويطلق رصاص رشاشه تجاه أي فلسطيني لا يروق له مظهره، ويمتهن كرامة المصلين،ويقوم على تحطيم سياراتهم وقلب بسطات الخضار المتواضعة لمزارعي الخليل، وبـمـوجـــب قوانين» جولدشتاين« الأول والثاني... والعاشر، فإن إزهاق روح مستوطن مجرم جريمة تحتل عناوين الأخبار ، ويندد

بها العالم القذر المتواطئ، وتـصـبـح بضاعة الدمية العرفاتية الذي شاءت الأقدار أن يكون آخر تصريحاته الاستسلامية قبل الـمـذبحــة أن يندد بقتل مستوطن إسرائيلي على أيدي المجاهدين الذين لم يزالوا يتمسكون بحقوقهم ، ويدافعون عن مقدساتهم حتى ولو بسكين أو ساطور.
»قانون جولدشتاين« الذي ابتكرته الصهيونية السياسية بقيادة» جولدشتاين الأكبر« الذي يتولى رئاسة الحكومة الإسرائيلية يقتضي توزيع الأدوار بـيـن الـحـمـائــم والـصـقـور والمعتدلين والمتطرفين ، ورصاص جيش يهود ورصاص المستوطنين ، وفي كل الأحوال تبقـى الضحية هي الضـحـيــة والـهــــدف هو اجتثاث الوجود العقدي والبشري لأهل الإسلام في البقعة المباركة، ومحاصرة المد الإسلامي المنتشر مع كل هجمة شرسة وكل سقوط درامي لقيادات العلمنة والتطبيع، هذه القيادات وخلفها الحيات والعقارب الإعلامية التي تريد أن تفرض على الشعوب السلام مع أعداء الله من اليهود،وتصر على أن المغضوب عليهم أبناء عمومة، وأن قتلة الأنبياء شرق أوسطيون مثلنا، وأن أخــــوة الـقـردة والخنازير شركاء لنا في الآلام والآمال.
القضية هنا أن المؤسسة الإعلامية والسياسية العربية تريد أن تـمـــارس الـكـــذب وغسيل الأدمغة بمحاليل مغشوشة ومنتجات رديئة، تجعلها في نظر الساذج البسيط قليلة الحياء، عديمة الذمة ، فنص الكتاب وصحيح السنة لا ينالهما عشرات المهرجانات التطبيعية أو الحملات المتصهينة ، مهما قبض القائمون عليها من ثمن ثم زعموا لسادتهم أنها ناجحة!

وإذا الشعوب سئلت:

ونحن نعيش هول المأساة ومع حالة الذهول التي عمت عالمنا العربي والإسلامي، خرجت الشعوب المسلمة لتقول كلمتها دون رتوش وفي غياب مقص الرقيب، لقـد كـانــت الغضبة الشعبية العارمة رسالة أخرى ، تؤكد هوية الصراع ، وتُذكّر بمضامين المواجهة، فالمسلمون في أقاصي الأرخبيل الأندونيسي وفي قرى سومطرة خرجوا في تظاهرات عارمة ليقولوا أنهم لايزالون أحياء وأن ما يحركهم هو جرح الإسلام النازف ، بالرغم من كل مـحـــاولات التنويم المغناطيسي والتطبيع الإعلامي الذي يحاول أن يمهد لعملية الاستسلام الكـبـيـر ، وما كانت هذه المظاهرة إلا واحدة من عشرات المشاهد المتتالية في أكثر من موقع وفي أكثر من بلد ، وقد خرجت لتقول وتعبر عن حجم الفاجعة ، كما عبرت عن وحدة المسلمين في بقاع الأرض وتكوينهم العقدي وأن آيات الكتاب وبشارات الرسول-صلى الله عليه وسلم- هي التي تحرك المسلم للهم المشترك وتدعوه لرفض التطبيع وكأن قائلهم يصرخ:
»حذار.. حذار
فإن بشارتنا في الكتاب
الذي يريدون

أن يطمسوا نوره من قلوب الصغار
ويلغوا أحكامه من حياة الكبار
فيغدو تما تم للمائعين
ويعوذ تعاويذ للخائفين
وما كان إلا العقيدة ، إلا الشريعة
إلا الشعيرة.. إلا الشعار
برغم التقول ، رغم التأول ، رغم الحصار!
لـقـــد عم الشارع المسلم عموماً والعربي خصوصاً حالة من»القرف« من هذا الوضع المزري ، فقامت الشعوب لتقول كلمتها، قامت السيدة الفلسطينية لتقول لمراسل المحطة الأمريكية: »أين عرفات؟ هل استطاع أن ينال أريحا أو غزة كما وعدوه؟ هل يستحق أن أهتف باسمه حتى اليوم؟ لقد رأى اليهود أنه باع القدس ، وصمت في خزي فتجرأوا على الخليل ، الـقــدس والخليل لن تتحرر بعرفات و (...) إنها لن تتحرر إلا بالإسلام«.
كانت العجوز الفلسطينية تقول بلسان الحال لهذا المراسل:
حذار.. فلو أنكم للسلام دفعتم أعز ثمن
وسقتم عليه الثرى والثريا شهوداً
وأجلب إبليس بالجند ينعق:
"»عشنا..
وعاشت يهود
وعاش الوطن"«
ولو أنكم للسلام سعيتم
بتقتيل كل غيور وتقطيع كل أغر
بتعقيم كل النساء
بتجفيف كل البحار
ستخرج هذي المحار
جنوداً ، يقدون من وهج الشمس
فجر نهار
ويعقب هذا السلام دمار
ويرقد في كل ناحية ألف نار
ويرجع للصابرين الوطن
ويصرع سيف الجهاد الوثن
ويعذب ماء
وتزهو ظلال.. بأهل ودار
نعم.. لقد خرجت جماهير فلسطين داخل حدود 1948م وهي تنادي بإسلامها وأنها جزء من الكيان الكبير ، فقتل مواطن في النقب التي ثارت لأول مرة ، كما شهدت مدن الناصرة وأم الفحم (أم النور) ومناطق الجليل أوسع انتقاضة

شعبية معبرة عن الذي يجول في نفوس الشعوب التي أقحمت في أتـــون التطبيع مع أعدائها ، ويراد منها أن تكون الدواب التي تركبها بني إسرائيل كما هو المفهوم الصهيوني الذي لا يوجد من ينازله ويصده سوى آيات الكتاب الـتـي فـي الـصـــدور المؤمنة والتي ترفض هذا التعايش التعس الذي تصر قيادات العلمنة على وصفه بأنه تعايــش رائع يلخصه الكاهن الذي أبن المجرم جولدشتاين بقوله »إن مائة مليون عربي لا يساوون ظفر يهودي واحد« ، وهذا ما ترجمه مئات من الذين شيعوا جثـمـانـه بقولهم» كلنا جولدشتاين« ، أما شعوبنا فقد قالت بصوت واحد»ألا لعنة الله على المستسلمين.

زعامات الورق:

المأزق الذي تعيشه قيادة منظمة التحرير الفلسطينية مؤشر لمدى الإنحدار في أسلوب القيادة وحجم القطيعة بين القمة والقاعدة ، والذي يصلح للتطبيق في أكثر النماذج العربية ، وإن كان نموذج القيادة الفلسطينية جـديـــــراً بالتأمل كونها قيادة حركة تحرير شعبي تدّعي تمثيل الدولة وممارسة شؤونها ولو من بـــاب الإدعاء، لـقــد لخـــــص الكاتب الأمريكي (شومسكي) موقع القيادة الحالية بأنه» أسوأ وضع لحركة تحرير وطني في العصر الحديث« ، أو بعبارة معلق أمريكي آخر» إن مجزرة الخليل مؤشر هام لمرحلتين: المرحلة الأولى كانت مشكلة قيادة المنظمة مع أمريكا وإسرائيل ، والثانية تتمثل في مشكلـــة المنظمة مع شعبها الفلسطيني الذي أحرق صور عرفات وداس عليها...«.

وهذا التوصيف بالضبط هو ما يستخدمه المحللون السياسيون للقيادات المفلسة. إن مجزرة الخليل كانت بمثابة المشهد الأخير الذي تختتم فيه هذه القيادة المتخبطة آخر خطواتها إلـى المجـهـول ، فحتى جل كوادرها تخلت عنها ، أما القيادة فقد فقدت حتى هيبتها الشـكـلـية ، ولم يستطع عرفات أن يجمع اللجنة التنفيذية قبيل المجزرة للمصادقة على اتفاقه مع بيريز في القاهرة ، فاكتفت إسرائيل بتوقيع (الزعيم!) عليه!!

إن المتتبع لردود فعل عرفات وقيادته يرى أن أرخص ثمن كان يفكر فيه هو دم شعبه ، لذا فقد سارع لتلبية نداء كلنتون لاستئناف المفاوضات ، ودماء شهداء المذبحة لم تجف بعد ، ثم فوجئ بحـجــم الغضبة الشعبية وتضاؤل التأييد له فقلب له ظهر المجن ، وأصر على الحماية الدولية لسـكـــان الأراضي المحتلة والتي كانت إحدى المثالب الصارخة لاتفاقه المشؤوم.

لقد أيقن الشعب الفلـسـطـيـنـي أن هذه القيادة أعجز من أن تقود نفسها وتحل خلافاتها الداخلية المتتالية والناتجة عــن تهالك المسؤولين على المناصب والأموال والنفوذ ، وأيقن الشعب الفلسطيني عبر ما صدر عـنـــه بُعَيد المذبحة أن اتفاق أوسلو المر لن يحصد سوى الحصرم ، وأصبح رد الفعل الشعبي بمثابة كرة الثلج التي تكبر مع كل تدحرج ، وترفض مع كل مجزرة هذه القيادة التي أحرقت كل مراكبها على شاطئ العجز والاستسلام للعصر

الصهيوني/الصليبي الذي صرح رابين بـعـد الواقعة بثلاث أسابيع»أن قيادة المنظمة لم تعد قادرة على إقناع الشعب الفلسطيني بالحل السلمي ، لذا فإن وزارته ستبحث عن السلام على الجبهة السورية بدلاً من الفلسطينية«. إذن أين أطنان السواد الكتابي الذي سطر عـــن السلام؟ أين الصديق المخلص الذي وجده عرفات في زيارته المشؤومة لواشنطن في البيت الأبـيـض؟ أين منظروا السلام ودعاة وأنصار عرفات المهذب والمستسلم لقوانين النظام العالمي الجديد...؟ لو كان لدى الزعيم تقدير فعلي لم حدث لتوارى عن كرسي القيادة وموقع المسؤولية ، فمنذ أن تسنم مقاليد الأمور والقضية الفلسطينية وهي من شفا جرف هار إلى هاوية ، ومعظم الانتصارات التي تحققت لها كانت من صنع أطفال الحجار وجنرالات المولوتوف ويافـعـي الإســلام الذين يدفعون كل يوم من دمهم دفعة تذكر بجهاد عزالدين القسام ورفاقه الأبطال.

إن المجزرة بالفعل ستمايز بين الصفوف والاتجاهات والـمـواقــف أرادوهـــا مجزرة الدم الأرخص ، وكانت شرارة الفجر التي لامست زعامات الورق فأحرقتها ، هناك "»بعل سهى الطويل«" وشركاه ، وهنا "»إخوان أحمد ياسين«" وتلاميذه ، وهذا الفريق يرسم وينظم المواقف البطولية. أما الفريق الأول فكان انعكاساً لحالة الترهل والانكسار التي تترجمـهــا الأبيات الشعرية التي تتلمس معالم مرحلة المجزرة وما قبلها وما بعدها :

مقـتـل ستين فتى في مسجد الخليل
تضارب الأنباء حول موتهم
قال ..يقال ..قيـــــل ..
حمامة السلام مرت من هنا..
هذا الرصاص بيضها
وصوته الهديل
عقد اجتماع عاجل لمجلس التنكيل
البحث ينتهي إلى ضرورة التعجيل
في طلب التأجيل
قصف مركز على أجهزة التسجيل
مستفعلاتن فاعلن مستفعل فعيل
هذا هو الموجز من أنبائنا
إليكم النشرة بالتفصيل:
تعيش إسرائيل ... .

الهوامش:

(1) قصيدة سلام الدم للشاعر سعد عطية الغامدي

المسلمون والعالم

ماذا يبقى من دولة اليمن؟
قراءة في الأزمة اليمنية في مراحلها الأخيرة

عبد الله عبدالعزيز

مرت البلاد اليمنية فـي الأشهر الأخـيرة بعدد من الأحداث وشهدت العديد من التطورات التي تستحق من المتابــع للساحة التوقـــف عندها والنظر في آثارها ، كما أنها تستحق من أبناء الحركة الإســلامية دراستها واستنباط فوائدها ، ولعل من أبرز ما وقع مؤخراً الأمور التالية:

وثيقة العهد والاتفاق:

اتفق أعضاء لجنة الحوار السياسي بمن فيهم ممثلو أطراف الصراع في اليمن (المؤتمر الشعبي العام الحزب الاشتراكي) على بنود وثـيـقــة الـعـهـد والاتفاق بعد تلكؤٍ من حزب الرئيس اليمني وإصـرار من الحزب الاشتراكي ويعتبر ذلك الاتفـاق بمـثـابــة الانـتـصــار للـحزب الاشتراكـي إذ أنه قد استطاع أن يتجاوز البرلمان الذي لا وجود مؤثر له فيه. كما استطـاع أن يـضــع في هذه الوثيقة التي يسميها بعضهم »الدستور اليمني الجديد« حيث كافة شروطه ومطالبه التي تضمن له النفوذ والبقاء في السلطة، سواء أكان ذلك عن طريق تجريد الرئيس من كثير من مهامه وإعطائها لرئيس الوزراء الذي يـنـتـمي للحزب الاشتراكي نفسه أو عن طريق فرض (نظام اللامركزية الواسعة) وإنتخاب محافـظــي وكـبــــار مســؤولي (ما يسمى بالمخاليف) والتي يضمن الحزب في كثير منها بطريقة أو بأخرى وبالأخص في مناطق نفوذه قبل الوحدة انتخاب الناس لمرشحيه ، كما أن الحزب استطاع بهذه الوثيقة نزع موافقة طرف الصراع الآخر على تجريده من أبرز وسائل قوته عن طريق الموافقة عـلـــى إخراج وحدات الجيش من المدن وإلغاء وزارة الإعلام وإيكال مهام أعمالها إلى هيئة وطنية مستقلة ، وتقليص صلاحيات البرلمان بإنشاء مجلس للشورى يختار أعضاؤه من أبنـاء المحافظات بالتسـاوي كما أن الحزب عن طريق هذه الوثيقة قد قطع عدة خطوات في الـعـمــــل على إضعاف نفوذ القبائل اليمنية وتجريد اليمنيين من أهم ما يتميزون به وهو حيازتهم للسلاح وتنقلهم به عن طريق انتزاع موافقة (المنافس) على العمل على إنهاء الوجود المسلح غـيـر الرسمـي فــي إشارة إلى أسلحة القبائل والنظر في قانون حمل السلاح الحالي لجعله أكثر صرامة في إشارة إلى سلاح الفرد العادي كما استطاع ذلك الحزب إبراز بعض القضايا التي تخدمه في صراعه كالجانب الأمني وما يسمى بمحاربة التطرف والإرهاب الذي كان البند الأول من بنود الوثيقة... إلخ ومع الكسب الكبير للحزب الإشتراكي في الوثيقة وضخامة التنازلات التي قدمت له إلا أن أبرز

الملاحظات عليها لو توفرت النوايا الصادقة لتطبيقها الجدول الزمـنــي المـحـــدد لتنفيذ بنودها إذ أن كثيراً من القضايا بحاجة لإصلاحها إلى سنوات والوثيقة حددت لهـــا أسابيع أو أشهر مما يضع الكثير والكثير من الاستفهامات حول حقيقة مطالب الحزب المذكور.

تدويل الأزمة:

سعى الحزب الاشتراكي بقوة إلى تدويل الأزمة متخذاً ذرائع عدة لذلك ومن أبرزها:

*إدعاء الرغبة في توفير ضمانات حقيقية لتنفيذ بنود الوثيقة عن طريق حضور عربي ودولي واسع بعد قيامه بحملة إعلامـيــة واسعة لإقناع المهتمين بالأزمة اليمنية أن الطرف الآخر ليس جـــاداً في العمل على تنفيذ بنود الاتفاق وأنه يسعى لوضع العقبات والعراقيل أمام ذلك، وقد حصل التدويل بالنسبة للوثيقة بالفعل إذ تم توقيعها في الأردن في 9/8/1414 وليس في اليمن.

*أبراز خطورة الوضع الأمني والعسكري عن طريق تحريك بعض الألوية التابعة للحزب إلى مواقع مثـيــرة للـقـــوات الشمالية بالإضافة إلى تحريك بعض الأفراد والقبائل ودفعهم إلى ممارسة بعض الأعمال المخلة بالأمن والتي تقلق الدول الغربية كاختطاف بعض الأجانب كرهائن ونهب بـعـــض ممتلكات الشركات الأجنبية هادفاً من وراء ذلك إلى إثارة اهتمام القوى الغربية بالوضع وتذبيهها إلى خطورة ذلك على مصالحها أو رعاياها أو شركاتها مما يستدعي تدخلها ، وهذا ما حصل بالفعل إذ أعلنت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي قلـقـهـمـا من تفاعلات الأزمة اليمنية وضرورة إنهائها سلمياً ، كما تم تشكيل لجنة عسكرية شارك فيها إلى جانب اللجان اليمنية لجان عسكرية عُمانية وأدنية بالإضافة إلى الملحقين العسكــريين الأمريكي والفرنسي في صنعاء من أجل وقف التداعيات العسكرية وإرجاع ألوية الجيش المختلفة إلى مواقعها قبل الأزمة وبالأخص الموجود منها في خطوط التماس بين الشطرين سابقاً.

*الزيارات التي قام بها مـســـــؤولوا الحزب الاشتراكي إلى بعض الأقطار العربية كمصر وسوريا والسعودية والكويت والإمـــارات تحت ذريعة اطلاع الأشقاء العرب على حقيقة الموقف من وجهة نظر الحزب وما اسـتـدعته من زيارات مضادة من المؤتمر الشعبي العام لكل من الرياض والقاهرة و(أبو ظبي) لعرض الأزمة من وجهة نظره أيضاً.

*إيهامه لبعض الدول بدعوى وجود عناصــر قيادية كبيرة مناوئة لها في اليمن وأنها تقع تحت حماية طرف الصراع الآخر ، وأنه لا فـــرصـة لها لتصفية معارضيها الموجودين في اليمن والقبض عليهم إلا عن طريق الدخول على خـــط الأزمة والمطالبة بتسليم معارضيها الذين تصفهم بالتطرف والإرهاب.

التداعيات العسكرية:

في الوقت الذي كان زعماء الائتلاف الحاكم في اليمن يوقعون وثيقة العهد والاتفاق في عمان وفـي حـيــن لم تجف بعد أحبار أقلامهم كانت المدافع تتبادل القصف في محافظة أبين الجنوبية بـيــن قوات لواء العمالقة الشمالي وقوات لواء مدرم الجنوبي ولقد عزز الحزب الاشتراكي وجـــوده العسكري في المحافظة عن طريق أو امر قيادته إلى ثلاثة من الألوية التابعة له وهي الوحدة في المكلا وقوات اللواء الخامس في عدن وقوات اللواء الثلاثين مشاة في شبوة بالتوجه الـيـهــا بـهـدف السيطرة على المواقع المهمة في المحافظة وتطويق لواء العمالقة الشمالي الموجود فيها وضرب الوجود المميز في المحافظة لشباب الصحوة الإسلامية العائدين من أفغانستان ولقد أشرك الحزب مع جنود جيشه مليشياته الشعبية كانت نتيجة تلك التداعيات خسائر بشرية ومادية ملحوظة للطرفين ولولا رحمة الله تعالى لكانت تلك المواجهة بداية الشرارة لتصفية الـوجـود العسكري لما كان يعرف بالشمال في الجنوب ولما كان يعرف بالجنوب في الشمال مما يعـنــي قـيـام المواجهة المسلحة الشاملة بين الطرفين وبالتالي التشطير والانفصال.

محاولة تصفية وجود الشباب المسلم في أبين:

قبل الوحدة اليمنية حارب الحزب الاشتراكي الدين الإسلامي وقتل الأنفس سحلاً ورمياً وشنقاً ، وهتك الأعراض ، ونهب الأموال وصادر الدور والأراضي، وأهان العلماء والأعيان وغيرّ في القيم والبنية الاجتماعية مما أثار عليه النفوس المؤمنة والشريفة وحرض الأيدي المتوضئة على زعمائه فسعت إلى الثأر لدينها ولمن قتل من أفراد عـوائـلـهــا أو انتهك من أعراضها أو صودر من أموالها ودورها ومزارعها.

وكان عودة الشباب اليمني من أبناء المحافظات الجنوبية والشرقية من أفـغـانـسـتـان بعد قيامهم بواجب النصرة لإخوانهم هناك فرصة لدى أفراد محدودين جداً منهم للانتقام من بعض زعماء الحزب وكوادره مما أخاف الحزب وأقضّ مضجعه فأخذ يتحين الفرصة لنشر أولئك الشباب ومطاردتهم وإيقاع القتل والتعذيب والسجن على من تقع عليه ا ليد منهم ولـقــد كانت أضخم محاولة لذلك في شهر رمضان الماضي في محافظة أبين تحت الـتـذرع بمشاركة أولئك الشباب لقوات العمالقة الشمالي في صراعه مع جيش الحزب!!

انفتاح الحزب الاشتراكي:

نتيجة العزلة التي أوقع الرئيس على صالح نفسه فيها نظراً لموقفه في حرب الخليج الثانية وعلاقـاتــه مــع الإســـلاميين في اليمن وعدم استيعابه للواقع وطبيعة البلاد الجغرافية والاجتماعية وقيامه بارضــــاء بعض الدول من خلال طرد بعض رعاياها الذين يتهمون بالإرهاب والتطرف فقد تمكن الحزب الاشتراكي من الخروج عن عزلته التي كان يعاني منها إقليمياً ودولياً ونظراً

لتبعيته القوية في السابق للمعسكر الشرقي حيث قام أمينه العام بزيارة القاهرة ليقول لها إنه مستعد لتسليم من تريد ممن يسمونهم بالمتطرفين في اليمن كلها لولا معارضة على صالح والإسلاميـين له من القيام بتسليم من يوجد منهم في المحافظات الشمالية وزار دمشق ليعلن وقوفه إلى جـانـب حـزب البعث السوري في صراعه مع حزب البعث العراقي وليس كما يفعل الرئيس اليمني.
وزار الرياض لينشئ علاقات جديدة وقوية لم تكن موجودة من قبل في وقت يعاني الرئيس علي صالح من تردي الأجواء في علاقاته معها.
كما قام الأمين العام المساعد بزيارة كل من الكـويت والإمارات معزياً إياهما في ضحاياهما وخسائرهما في حرب الخليج الثانية ملقياً بتبعة الموقف اليمني آنذاك على (رئيس الدولة) وكأن الحزب كان خارج السلطة وقد تلقى الحزب الاشتراكي من جراء ذلك الانفتاح دعماً قوياً (انظر ما صرح به مسؤول إشتراكي رفيع الـمستوى لمجلة الوسط» عدد 190«) مما دفعه إلى مزيد من التصلب في صراعه مع الرئيس علي صالح.

دعامة الوحدة داخلية أم خارجية؟

أثبتت الأحداث في الفترة الماضية أن ضمانة استمرار الوحدة اليمنية أمريكية أوروبية ، ويظهر ذلك من خلال التصريحات الرسمية لمسؤولين أمريكين وأوروبيين بضرورة إنهاء الأزمة سلمياً ومن خلال التحرك الواضح للسفير الأمريكي في صنعاء ومشاركة الملحقين الأمريكي والفرنسي (الأخير ممثل للمفوضية الأوروبية) في اللجنة المكلفة بمنع استمرار التداعيات العسكرية وأهمية العودة إلى الثكنات العسكرية حسبما كانت عليه الأمور سابقاً.
وكل أطراف الأزمة تدرك أن الغرب لا يهمه من يبقى في الحكم من أطراف الصراع سواء الرئيس اليمني أو أمين عام الحزب الاشتراكي ولـكــن الذي يهمه أن يكون الباقي منهما أكثر قدرة وأعظم تفانياً في خدمة مصالحه.
والغرب يسعي إلي الاستقرار في اليمن وبالأخص في أماكن وجود النفط حيث يجب أن تبقى بمنأى عن الصراع القائم كما صرح بذلك مسؤول أمريكي
وسعي الغرب إلى الدعوة للاستقرار ليس من أجل سواد عيون اليمنيين ولكن من أجل مـصـلـحـتـه لكي يتمكن من تهيئة الجو الملائم للشركات الغربية المنقبة عن النفط والغاز هناك ومن أجــل استخراج خيرات البلاد المختلفة.
ولكن يبدو أن الغرب مع حرصه على الاستقرار فهو يدعم الحزب الاشتراكي مباشرة نظراً لكون الحزب هو الأقدر على ضرب الحركة الإسلامية المتنامية فـي الـيـمــن وهو الأجدر بمحاربة الانتشار الكبير لها.
كما أن الحزب هو الأقدر على القيام بخدمة المصالح الغربية نظراً لعدم وجود روابط ذات شأن تربطه بعقيدة الأمة وموروثها وللخبرة الطويلة في الخضوع للأسياد التي تـمـيــز بها نتيجة تبعيته لفترة طويلة لقادة (الكرملن) في

موسكو والتي يمكن انتقالها إلى قادة البيت الأبيض إن لم تكن قد انتقلت بالفعل.
كما أن الحزب نظراً لشراسته الشديدة ودمويته الكبيرة هو الأكفأ بالقيام بتقليم أظافر القوى الوطنية الأخرى التي قد تقف حجر عثرة في المستقبل أمام المصالح الغربية كالقبائل مثلاً .
وصحـيـح أن الـغـــرب يهمه فقط تحقيق مصالحه سواء أكان ذلك عن طريق الوحدة أو الانفصال لكن يبدوا أنــه يدرك أن الوحدة أكثر ضمانة للاستقرار وأكثر قدرة على منع وجود تواترات قد تصل إلى تهديد مصالحه في المستقبل ، كما أن الانفصال سيعني قوة الحركة الإسلامية في الشمال عن طريق تحالف الرئيس اليمني معها نظراً لحاجته الماسة إليها لمواجهة فلول الاشتراكيين المنتفشة.
وتجدر الإشارة إلى أن ما سبق هو قراءة للمصالح الغربية في اليمن والتي تصنع القرار الغربي ، لكنها قراءة قد تخطئ من جهة ، وقد يُدخل صُناع القرار في الغرب بعض التعديلات التي تقلب المسألة وتجعل المصلحة ليست في الوحدة بل بالانفصال كأن يُسعى إلى تشتيت قلوب أبناء اليمن وجرهم إلى الحرب والتقاتل خارج مواقع النفط للتخلص منهم نظراً لعدم رضوخهم لاستعمار سابق اليمن الشمالي وعدم الخضوع والاستكانة للرجل الغربي الأبيض ، ونظراً لكثرة عددهم وخطـــــورة أن يشكلوا في المستقبل من خلال الوحدة مع إخوانهم في الـخـلـيــج والجزيرة خطراً يعرض مصالحهم وأمن وليدهم غير الشرعي (العدو الصهوني) للخطر.
كما تجدر الاشـــــارة إلـى أن القول بأن ضمانة الوحدة خارجية لا يعني عدم وجود قوى داخلية خيرة ترغب بالوحــــــدة وتكافح عنهـا بل هي كثيرة وفي طليعتها أبناء الصحوة الإسلامية لكن المراد أن القوى الـتــي بـيـدهـا صنع قرار الوحدة والانفصال يرى أحدها الحزب الإشتراكي أن مصلحته بالانفصال ولا يوجد ما يردعه عن ذلك لولا خوف تعريض المصالح الغربية في البلاد للخطر أما ما يوجد من عقبات داخلية أمام الانفصال ككونه قد يؤدي إلى إراقة بعض الدماء نظراً لاختلاط مواقــع الـقـــوات الحالية للطرفين في الشمال والجنوب وكون الطرف الآخر قد يتخذ موقفاً متشدداً ويفـجـر الوضع فليس بأمر ذي بال لدى الراغبين في الانفصال بدليل تاريخهم الحافل بالقتل والدماء.

من آثار الأزمة:

عانى الشعب اليمني من الأزمة معاناة كبيرة في سائر المجالات حـيــث اكـتــوى بنارها واحترق بلهيبها في وقت يتم تصارع الطرفين على بسط النفوذ وكسب المواقع بعـيــداً عن الشعور بحرقة الشعب وعظيم معاناته ، ولعل من أبرز الآثار التي ولدتها الأزمة اليمنية ما يلي:

تجاوزت الأزمة جميع ثوابت اليمن الشرعية و الدستورية والقانونية وعودة تحكيم كل من طرفي الأزمة لمصالحه وما تمليه عليه رغائبه مما سبب فشل حركة مؤسسات الدولـــة الدستورية كمجلس الرئاسة والوزراء والنواب بل وشل حركة جل مؤسسات الدولة عن طريق عودة غالب الوزراء والمحافظين وكبار المسؤولين الاشتراكيين في الشمال إلى الجنوب وعودة غالب المحافظين والمسؤولين التابعين لحزب الرئيس في اليمن إلى الشمال مما سبب تفككاً وفساداً إدارياً كبيراً أضف إلى ذلك ما كان موجوداً من قبل من معاناة كبيرة لا تخفى على معظم أفراد الشعب.
الارتـفـــاع الكبير في الأسعار حيث وصل سعر برميل الغاز في بعض المناطق إلى 500 ريال وكيس الـسـكــر إلى أكثر من 2000 ريال وعلبة الحليب المجفف إلى 700 ريال. مع قلة دخل الفرد وازدياد في معدلات البطالة والانخفاض الكبير في قيمة الريال الشرائية.
أضف إلى ذلك توجــه طرفي الصراع إلى صرف عائدات النفط من العملات الصعبة في شراء الأسلحة لتوزيعها علــى كوادرهما بدلاً من توفير السلع وتقديم الخدمات والبدء في تنفيذ المشاريع التنموية لصالح الشعب كله.
بروز النعرات المناطقية والـقـبـلــية وانـتـشــار الحقد والكراهية بين أبناء المناطق والقبائل المختلفة إذ استغل طرفا الصراع أبناء المناطق التي تحت أيديهم والقبائل الموالية لهم وسعى كل طرف إلى تحريض أتباعه على الطرف الآخـــــر وغرس البغض والحقد فيما بينهم والشخص الذي له اختلاط باليمنيين سيسمع ما يـسـوؤه من مثل أنا شمالي وذاك جنوبي ومن مثل أنا من بكيل والآخرون من حاشد أو مذحج أو يافع أو من الأشراف...إلخ.
عودة الحزب الاشتراكي بقوة إلى المناطق الجنوبية والـشـرقـيـــة عن طـــريق ايذاء وطرد المسؤولين والجيش والأمن الشمالي ، وعن طريق تسليح ونشر مـيـلـيـشـات الحزب وترويع الناس بها لكبت الرأي المخالف واعادة شعار الحزب المعروف (لا صوت يعلو فوق صوت الحزب) مع زوال كل وجود لسلطة ما يسمى بدولة الوحدة في أراضيه ، وقد سببت تلك العودة القوية للحزب في تلك المناطق أموراً كثيرة من أهمها ندرة إن لم نقل توقـف قوافل الدعوة إلى الله من الشمال إلى الجنوب وقلة حركة التنقل لكسب الرزق والبحث عـــــن العمل...إلخ.
تجـمـيـد الـعـمـلـيـات والحركات الاستشارية الداخلية والخارجية وتعطيل الاقتصاد وشل حركات البيع والشراء والعمران انتظاراً من أصحاب رؤوس المال لما ستسفر عنه الأزمة.
تشجيع قُطّاع الطـــــرق من الأفراد وشراء ذمم بعض القبائل من أجل قطع الإمدادات من الغذاء والغاز عن بعض المدن.
غرس الحزب الاشتراكي الروح الانفصالية لدى كثير من أبناء المناطق الجنوبية والشرقية عن طريق نسبة أسـبـاب مـعـانــاة الناس وأخطاء المرحلة

الانتقالية إلى الشماليين وتجريد الحزب نفسه منها ، بل إن الحزب ليقوم بارتكاب بعض الأخطاء كالقتل ويقوم بنسبتها إلى خصمه ثم تقول كوادره للناس: هل تريدون هذا الوضع السيئ الذي جاء به الآخر أم ترغبون بالأمن والاستقرار الذي كنتم تنعمون به قبل الوحدة؟! بالإضافة إلى بث الأماني المعسولة بمستقبل واعد نظراً لظهور النفط والدعم اللذين يحلم بهما الحزب ويتوقعهما.

فوائد وعبر من هذه الأزمة:

تستحق الأزمة اليمنية من الـمـصـلـحين والدعاة إلى الله عز وجل التوقف عندها لاستلهام عبرها واستنباط دروسها وأخذ فوائدها ولعل من أبرز الدروس والعبر ما يلي:

*في الأزمة اليمنية سقوط آخر لدعاوي الديمقراطية في العالم الإسلامي بعد السقوط الكبير في الجزائر ، وثبوت أن المتشدقين بتطبيقها من أبناء المسلمين هم ألد أعدائها ما لم توافق مصالحهم التي يبيتونها ورغبائهم التي يطمحون إليها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الأزمة اليمنية تسقط دعاوي الغرب في السعي إلى تطبيق الديمقراطية في العالم الإسلامي إذ أنه وحلفاءه يدعمون بقوة الحزب الاشتراكي الرافض لنتائج الانتخابات النيابية ومبدأ حكم الأكثرية للأقلية.

*تقلب حـــــــال السياسيين في التعامل مع شباب الصحوة الإسلامية بين مد وجزر حسب مصالحهم واحتياجهم العملي فإن أرادوهم أو خافوهم قربوهم وأعطوهم بعض المكاسب التي لا تؤثر على مواقفهم وإن استغنوا عنهم ولم يخشوهم لفظوهم وآذوهم حساً ومعنى.

*خطورة استعجال شباب الصحوة وعلمائها في اتخاذ المواقف والحكم على الآخرين ويبرز هذا الأمر جلياً في موقف بعض قيادات الإسلاميين في التجمع اليمني للإصلاح من الحزب الاشتراكي فبعد أن أعلنت انتهاء الخلاف العقدي والفكري وبقاء الخلاف السياسي مع الحزب الاشتراكي فقط إذا بالحزب يطلق العنان لكوادره لمهاجمة الإسلام وشرائعه كتعدد الزوجات والمعاهد الإسلامية ، وإذا بــه يـشـتـد فـي مطاردة الإسلاميين وقـتلهم وسجنهم وتهجيرهم ، وإذا به يمنع قوافل الدعاة إلى الله ويعرقل أنشطتهم في الجـنـوب ويخيفهم ، وإذا به يصم حتى أولئك الدعاة بالإرهاب والتطرف والسعي إلـى الفـتـنة وعدم فهم الدين على حقيقته. إن الاستعجال آفة خطيرة برزت في تعامل أولئك الإخوة مع الـحـــــزب ولو أنهم تأنوا وثبتوا مطالبتهم الحزب بالتوبة والإقلاع عما هو عليه من كفر وردة لـكـان خيراً لهم. إن دعوة الناس إلى الحق لا يبرر أبداً مداهنتهم ووصفهم بما هم ليسوا عليه من الحق.

*عدم جدوى السعي إلى كسب تغييرات دستورية وقـانــونـيـــة نظرية تصب في مـصـلحة الشريعة الإسلامية عن طريق دخول الانتخابات النيابية لأن

الدساتير والقوانين في عالمـنــا الإســـلامي جلها سائر على رغبة المتنفذين ومحققة لمصالحهم وبالتالي فإن على الدعاة إلى الله أن يبحثوا عن وسائل أخرى للتغيير مع الحرص على الاتباع وتجنب الابتداع.
*إن الإسلاميين مهما أظهروا من مرونة واعتدال وتنازل عن بعــض القيم والمبادئ وسكوت عن أخرى من أجل إرضاء العلمانيين في بلدانهم ومن خلفهم مــن قــوى الشر القريب منها والبعيد فلن يغنى عنهم ذلك شيئاً أمام أولئك الأعداء وســيستمر أولـئـك فـي الـكـيـد لهم ومحاولة إزهاق أرواحهم والعمل على محاولات تجفيف منابعهم.
هـــذه بعض من الفوائد والعبر من هذه الأزمة ، والله نســأل أن يصلح الأحوال وأن يجمع القـلــــــوب على الحق وأن يبصر الجميع بصراطه المستقيـم حتى تتلافى في تلك الأخطاء والسلبيات ولعله يتضح للجميع وبخاصة الإخوة أصحاب التوجه الإسلامي الفوائد والعبر مما حدث وأهمية استيعابها وتصحيح المسار في الدعوة والإصلاح والجهاد بالطرق الشرعية القويمة فهل نعي ذلك عسى؟ ولعل والله من وراء القصد.

المسلمون والعالم

أضواء على
مذبحة المسلمين في» غانا«

مـندوب» البيـان

تـمـهـيـد:

قد يخفى على كثير من المسلمين ما يتـعـرض له إخواننا المسلمون في غانا من محنة بتواطؤ من أعداء الإسلام، وما يؤسَف له أن الإعـلام الـعـربــي لم يـتطـرق لها. وقد وافانا مندوب »الـبـيـان« بهذا التقرير عنها .

- الـبـيـان -

اندلعت الحرب يوم الثلاثاء 2/2/1994م بقرية (بمبلا) الواقعة بالمنطقة الشمالية التي تبعد عن العاصمة (أكرا) بحوالي 960 كم، ويسكن هذه المنطقة عدد من القبائل المسلمة والوثنية، ولكن أكبر قبيلة فيها عدداً وإسلاماً هي قبيلة (داغومبا) 96%، ثـم أربــع قـبـائــل أخرى تتراوح نسبة المسلمين فيها ما بين 70% إلى 88% وهي تحت أربعة ملوك.
وتعيش معها قبائل أخرى وثنية ونصرانية من بينها قبيلة (كونكمبا) النصرانية وهي قبيلة فاسدة متوحشة تعيث في الأرض فساداً وقد شاركت في هذه الحرب بكل شراسة وقسوة ضد المسلمين.
أما ســبب إندلاع هذه الفتنة فهي مكيدة من أعداء الإسلام النصارى وتعود بدايتها إلى 12 سنة خـلـت، وذلك أن الـقـبـائـل المسلمة المذكورة وهم

الغالبية في الإقليم لم تستطع جهود الـتـنصير أن تؤثر فيهم مع ما بذلت من أموال طائلة وإغراءات بالأغذية والملابس للسيطرة على هذا الإقليم وتنصيره. فـلـجـأت إلى أسـلـوب المـكـر والتحرش، وراحت تـعـبـئ قبيلة (كونكمبا) المذكورة وتحرضها على المطالبة بأرض من أراض (داغومبا) المسلمة لتستقل بها. ولما رفض الملك خطط النصارى لهم عملوا على أخذ الأرض قهرا، وراحـوا يجـمـعـون لهم الأسلحة ويدربونهم عليها، ولما تمت قوتهم هجموا على المسلمين هجوماً شـرسـاً واسـعـاً لـيـخـرجـوهـم من الأرض المذكورة بعد احتلالها حتى يبنوا عليها كنائسهم ومدارسهم، فأحرقوا البيوت والمزارع، وهدموا المساجد وروعوا النساء والأطفال والـشـيـوخ، وكـانـوا يسـتـعـمـلـون الأسلحة الحديثة المختلفة. وقد اشترك مع النصارى الوثنيون في الـقـتـال ووقفوا بجانبهم ويساعدونهم بالرجال والسهام والسيوف وما لديهم من أنواع السحر التي يتعاطونها.

حصيلة هذه المذبحة:

وأهم الأحداث البارزة في هذه الحرب أنهم هجموا على 150 قرية وفعلوا بأهلها ومنازلها الأفاعيل، ويلاحظ التركيز على هدم وإحراق المساجد على المصلين بها بكل قساوة وعنف، ويقدر عدد المساجد المحروقة والمهدمة بحوالي 100 مسجد حسب الإحصاء الأخير الذي حصلنا عليه من الحكومة.
ففي قرية (سامبو) دمروا المسجد بما فيه من المصلين ويقدر عددهم بـ 70 شخصاً من بينهم إمـام المـسـجـد، وفي قـريـة (سوسن) اقتحموا المسجد وقتلوا أكثر المصـلين فيـه، وفي قـرية (زيزغو) أيضـاً أحـرقـوا المسـجد وقـتـلـوا المصـلين فـيـه وكذلك فـعـلـوا (بساباتي ومكييلي) وغيرها من القرى.
وأما عدد البيوت المحروقة والمهدومة فتقدر بستمائة بيت، أما المزارع التي أحرقت فتقدر بأكثر من ألف مزرعة.
ويقدر عدد الموتى حسب إحصاء الحكومة الأخير بما يزيد عن (8000) قتيل ممن عثر على جثثهم ، ولاتزال فرق الـتفـتـيش تواصل عملها لدفن الجثث هنا وهناك.
أما المشردون من اللاجئين فيقدر العدد بـ (20.000) شخص، وقد وصل منهم إلى (تمالي) حوالى (4000) شخص، أما الشيوخ والأطفال والنساء الذين لم يصلوا بعد فلا يعلم مصيرهم في الأدغال إلا الله.
وأما النازحون لحدود (التوجو) فـيـقـدر عـددهـم بحوالي (5000) لاجئ وهؤلاء اللاجئون يعيشون ظروفاً صعبة جداً من جميع النواحي وحاجتهم ماسة للغذاء واللباس ، ومن بينهم جرحى كثيرون محتاجون إلى علاج وغذاء.

الدعم الحاصل لا يكفي:

وقد حاولت بعض الجهات الإغـاثـيــــة دعم المسلمين وخاصة المشردين منهم من جمعيات محلية وهيئات خارجية ببعض المال ، لكنه كان قليلاً جداً لا يكفي شيئاً ، ومنها:
1- المجلس الأعلى للدعوة والبحوث الإسلامية بمالي.
2- جماعة الهدى بأكرا.
3- مجلس التنمية بيت الزكاة الكويتي.
4- جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت.
وقد حاول المهاجمون من النصارى والوثـنيـين احـتـلال مدينة (ياندي) المسلمة وحاصروها لأكثر من أسـبــوع، وركزوا كل قـوتهم علـيـها، ولكن المسلمين بعون الله تعالى دافعوا عنها ببسالة وردوا الكفار على أعقابهم خاسئين.
وفي هذه الأيام تحسن الوضع وخفت حدة الـقـتـال بـعـدمـا تدخل الجيش وضرب الوثنيين بالطائرات فتراجعوا، وقد صادر أكثر من (200) بندقية حربية (كـلاشـنـكـوف) ومدفعية (آر.بي.جيه) وغيرها، وأعلنت حالة الطوارئ بالمنطقة لمدة ثـلاثــة أشـهـر بعد أن سـقــط من أفراد الجيش عدد غير معروف.
والحـقـيـقـة المُـرّة هـي أن الـنـصارى والوثنيين قد بلغوا هدفهم، فقضوا على عدد كبير من المسلمين وشردوهم وأحرقوا وهدموا وخربوا مساجدهم ومنازلهم ومزارعهم ، واحتلوا جزءاً كبيراً من أراضيهم
وهـكـذا فالـمـسـلـمـون هنا يعانون كما هم يعانون في كل مكان وزمان من مآسي وكوارث من أعدائهم ، فإلى الله المشتكى.

قراءة في كتاب

ليس غبياً ومع ذلك مسلم! قراءة في مذكرات»مراد هوفمان«(*)

محمد حامد الأحمري

كانت السيارتان وهما من طراز» شـيـفــروليه« قــد تصادمتا بمقدمتيهما بسرعة إجمالية تبلغ (95) ميلاً في الساعة تقريباً ، وكانت فرصتي للنجاة من هذا الحادث تعادل تلك التي كان يمكن أن أحظى بها فيما لو أني قفزت من الطابق الخامس في مبنى مرتفع.
وعندما كان الجراح يحاول إعادة وجهي الـمـمزق إلى ما كان عليه ، تساءل بصوت مرتفع عمّا كان عليه شكلي قبل الحادث ، وتمكنت بحـركة من رأسي أن أشير إلى أنه يمكنه أن يعثر على جواز سفري في طقم ملابسي المخضبة

بالدماء وأخذ الطبيب لبعض الوقت يجيل بصره على التوالي بين صورتي في جواز سفري وتقـاطـيـع وجهي الممزقة ، ثم همهم مردداً بأنه يمكنني أن أجري جراحة تجميل بعد بضع سنوات.
وأضاف بتحفظ وهو يحقنني بجرعة تخدير في أول ليلة لي بالمستشفى: »يا عزيزي إن المــرء لا ينجو في مثل هذه الحوادث! لعل الله قد ادّخَر لك شيئاً في المستقبل«!.
وبـعــد تسعة وعشرين عاماً ، أي في 25 (أيلول) عام 1980م استطعت أن أدرك معنى هذا« (ص 20-21).
هـكـذا يبدأ»مراد هوفمان« مذكراته في سياق ممتع يبهج القارئ المسلم في زمن قل فيه أن يقرأ شيئاً يفرحه ، والمسلمون يفرحون بهذا النوع من الكتب لأسباب عديدة: أولها فرحة المسلم بمهتد جديد ينقذه الله من النار ، فنفرح له بالهداية والنجاة ، والسبب الآخر أننا نفرح عندما يُعترف بنا ، فنحن في عالم النكران والتجاهل ، يصب علينا الرصاص من جانب ، والإعــــلام الـسـاخر المسـتهزئ بالمسـلمين من جانب آخر ، فإذا سمعنا همسة إنصاف أو اعتراف طرنا بها فرحاً.
وأخيراً فإن الـمـشـهــور من قصص الذين كتبوا مذكرات إسلامهم أو حياتهم بعد هدايتهم تكشف لنا كثيراً من جوانب عظمة ديننا التي قد لا ندركها ، ولكنها تقدم حلاً لعدد من المشكلات التي يعانونـهـا وعايشوا مرارتها ، وضاقت السبل بهم في البحث عن حل لها ، ثم يجدون في الإسلام خير حل لها. إن في احترام العقل ويقظة الروح واعتدالها عند المسلم الحق وفي مصادر المسلمين السنة، ما خلب عقل»مراد هوفمان« وهو المثقف القانوني الفيلسوف المتمرس بالسياسة وصاحب الميول الروحية، لقد جذبه الإسلام بإعجازه الرباني فاندفع له بكل اهتمام وعمق يقين.
يقدم»مراد« قصة التثليث في المسيحية بكل سخرية ، وينقدها ويذكر بعض علماء اللاهوت من أمثال» هانزكونج« الذين بدا لهم أن التثليث خرافة ويتمنى لهم الإسلام إذ يراهم على أبوابه يقفون ، و»كونج« هو مدير معهد الأبحاث الـمـسـكـونية في »توبنجن« بألمانيا ، وقد اعترف أن الرسول محمد-صلى الله عليه وسلم-نبي حقيقي بمـعـنـى الكلمة ، واشتعل الخلاف بينه وبين رؤوس الفاتيكان الذين يعتقدون»الخلاص فقط في النصرانية« ، وأنه لا أنبياء من خارج الكنيسة.
وقال»كونج«: إن الإسلام طريق حقيقي للخلاص، وإن الكنيسة لا يمكنها أن تستمر بعد ذلك فـي إنـكـار أن مـحـمـداً-صلى الله عليه وسلم-الـمـرشــد والقائد على هذا الطريق يعد نبياً حـقـيـقـياً بكل مـعنى الكـلمة، ويعتقـد »كونج« أن الإنـجـيـل قــد بـشـــر بمـجـئ نبي آخر« (ص223-224).

وينقل في نصوص عديدة أنه لو طبق منهج النقد التاريخي على عدد من الأديان لما صمدت للنقد التاريخي،ولكن الإسلام لا يخشى تطبيق هذه المناهج عليه ، ويتمنى»مراد« لـ»هانزكونج« أن يسلم ، فقد وضع قدميه على الطريق.
إن سعة أفق المؤلف ، وتنوع ثقافته جعلت من الكتاب درساً ثقافياً جيداً وجعلت من عمل المترجم عملاً صعباً، فقد وفق كثيراً ووقعت له في الترجمة هنات هنا وهناك ، مما لا يعزب عن فطنة القارئ.
وكما أن في الكتاب مناقشات وسيرة حياة، فإن فيه سيرة قارئ وتجربته مع الكتب والثقافة والشعوب، فمرة تجدك في بعض الفصول تقرأ عرضاً لكتاب، وفي أخرى تقرأ نقداً اجتماعياً لمجتمعه الغربي، ومرة ثالثة في خلاف مع الصوفية، ورابـعـة يـشـيـد بأخــلاق المجتمع الإسلامي الذي تعمقت فيه أخلاق الإسلام رغم العمل الدائب من أنصار التـغــريب الذين يحاولون تدمير أخلاق الشعوب الإسلامية، ويسخر» هوفمن« من هذه الطائفة التي بـدأهـــا» أتاتورك« ومسخت أخلاق الشعب التركي وحضارته وأبعدته عن الدين الحق، ويقص قصصاً مـؤلـمـــة لبعد الأتراك عن الدين ، حتى أصبحت الحروف العربية عند الجيل الجديد كالحروف الصينية ، والتي جعلت أحدهم يرد عليه وهو يسأله عن بعض العادات الحسنة في تركيا عندما يطرق الباب ألا يزيد على ثلاث طرقات،ويبعد يده حتى لا يطرق الرابعة، فتقول له حماته زكية: »إنها عادة تركية« ولا تعرف أنها سـنـة الـرســـول-صلى الله عليه وسلم-، وكذا الأمانة في البيع وبعض ما ورثه تجار أتراك أصلاء يعدونه عادة تركية وهي في الأصل خُلق إسلامي ، ثم تحدث عن دور الإسلام في إصلاح التجارة، وأساليب التعامل من خلال إصلاح الإنسان.
»مراد هوفمان« عايش الحقبة الأخيرة من الحرب الجزائرية الفرنسية ، وآلمته مشاهد إحراق الفرنسيين لأحياء كاملة في الجزائر بقنابل النابالم، وآلـمـتـه كـلـمــات جارته في الجزائر لأطفالها وقد شاهدوا قتل النساء الجزائريات الذاهبات إلى السوق فقد خففت الأم الفرنسية الروع والهلع الذي استولى على الأطفال من قتل جمع من النساء بلا سبب بأن قالت لهم: »إنهم ليسوا سوى عرب«!!
يـقــول: بحثت مراراً عن ذلك السر الذي مكن هؤلاء الجزائريين الملتزمين من احتمال كل هذا الاحـتـقــار وسوء المعاملة والعقاب ، وأخيراً وجدت مفتاح هذا السر وأنا أعود لقراءة الآية (153) مـــن سورة البقرة: ((يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين)).
ولا ننسى هنا إعجابه الشديد بأستاذه»محمد أسد« ، وقد ذهب لزيارته في لشبونة وناقشه ، ويرى أنه ما من شخص آخر استطاع خلال المائة عام الأخيرة أن يبز النمساوي»محمد أسد« في إسهامه العظيم في شرح الإسلام ونشره في الغرب (ص 65) ، ويبدو »هوفمان« أقوم منهجاً مــن أسـتـاذه» أســد« الذي كان مغرقاً في عقلانيته في مواضع عديدة من كتبه ، وله هفوات

وغرائب مشهورة، ولكنها لا تقدح في إسلامه وحسن نيته رحمه الله ، وما تركه من أعمال باللغة الإنجليزية تدل على اهتمامه بالقرآن وتفسيره وبصحيح البخاري بخاصة،وقد ظلمه من شكك فيه ، وكتاباته تحتاج إلى نقد علمي وليس إلى حقد ، ويكفيه وصف»مراد« له وقد أنصفه في قوله »والله أعلم« ، وأما »مراد« فما سبق من تزكية لكتابه فقد كان ذلك في العموم ، ولكنه لم يسلم من هنات في فهمه للدين الإسلامي ولبعض أحكامه ، وقد أشار ودل قوله في مواضع من كتابه على عدم وضوح في الفهم ، مثال ذلك قوله عن الجهاد»إنه لا يـعـــدو في أصله أن يكون جهاداً معنوياً«(ص 176) ، وكلام له عن الحقيقة الأرحب في نص موهم (ص 121).
وأمثال هذه الكلمة مما يروغ عن التحديد العلمي ، أو تغلب عليه نفسية الاعتذار في بعض المواقع، والحديث عن فكره وبقية آرائه العقائدية والسلوكية مكانه في دراسة عن كـتــابه» الإسلام كبديل« الذي خرج بعد هذا الكتاب مدار حديثنا.
لـقـد أحـسـنـت يا» مـراد« كتابة مذكراتك الإسلامية ، ونرجو أن نقرأ قريباً مذكرات أخرى لأفواج من المثـقـفـين وعلماء اللاهوت الذين يسلمون ما بين وقت وأخر ، وقد لاحظ المؤلف عن وعي جوع الغربـيـيـن للإسلام ، ولكن عدم وجود قدوة ، حيث لم يسمح للغربيين أن يسلموا ، وهم يبحثون عن دليل مادي عن قدوة يتبعونها ، وأوضاع الفقر والجهل والخوف والـفـســـاد والخصام لا تسمح لأحد أن يتبعها إلا قلة ممن يفضلون موقف النبل، يـقــول المؤلف: »ومن ثم فقد فضلت موقف النبل المتواضع على موقف الكبرياء الغبي الذي يتخذه اللاأدريون المفترض فيهم الجرأة والاكتفاء الذاتي ، والذين غالباً ما يعيشون في عزلة نفسية جليدية وضـيـقــة ، وبكامل وعيي أسلمت نفسي وفكري لمن هو أكبر من كل كبير« الله أكبر كبيراً« (1)(ص 121).
لقد كان»مراد« شجاعاً وجريئاً عندما عرض على مؤتمر الناتو لمديري الإعلام بوزارات الدفاع عام 1984 م في »بروكـســـل«: أن الإسلام فيه حل لمشكلاتهم الدينية والأخلاقية ، وتساءل الحاضرون وهمسوا: هل رئيس المؤتمر جاد فيما يقول أم يمزح؟!
وأقام لقاءات ومناقشات فـي الـجـامـعات والتلفزيون الألماني يدعو فيها إلى الإسلام ويصرح بقناعاته ، وفي المؤتمرات الدولية التي يرأسها يخبر معدي الطعام مسبقاً بدينه، ويحضرون له طعامه وموقعه على مائدة ليس فيه خمر ولا خنزير ، ويتعجب من أحد أثريــاء العرب وقد دعاه إلى الخمر فقال له »مراد«: »وأين الله؟!« فرد عليه العربي الذي قال لـه من قبل إنه من ذرية الرسـول -صلى الله عليه وسلم- قـال العربي الثري وهو سكران: »لقد تركت الله في المطار!!«(2) ، لقد تجاوز »هوفمان« هــذه العقبات والسلوكيات التي تمنع غيرنا من قبول ديننا والتي صنعت حاجزاً بينهم وبين الإسلام، إن الـذيـن يـتـعـامـلــون مع الغربيين من المسلمين كثيراً ما يكونون نماذج

مكروهة ومنفرة عن الإسلام ، بتهتكها وخلاعتها وانعدام أخلاقياتها ، حتى كان لـسـان حال الذين ناقـشـوه يقـول: »لـيـس غـبـيـاً ومع ذلك مسلم« (ص 175). لقد وصم المتغربون الإسلام بما يليق بهم.
مذكرات (هوفمان) كتاب يناسب عامة المثقفين وتحتاجه جداً طائفة المثقفين المخدوعين أو الذين استولت عليهم أوهام العالم النصراني القوي مادياً الذي أفقدنا بريقه ولمعانه القدرة عـلـى رؤيـــة الحق الذي عندنا ، إنه نقاش ثقافي يعالج قضية المتطرفين من النصارى في الغرب ، ويعالج مشكلة المتطرفين للنصارى إلى درجة التشنج في العالم الإسلامي.

الهوامش :

(*) صدرت ترجمتها باسم (يوميات ألماني مسلم) ، ترجمة عباس رشدي العماري ، طبع بمركز الأهرام للترجمة والنشر ، 1993 م ، ويقع الكتاب في (238) صفحة.

(1)أشار» هوفمان« إلى قسيسين فرنسيين أسلما مؤخراً (ص 224) وإلى قسيس ألماني سوى من سبق ذكره كان يقول: إذا اختلف الإنجيل والقرآن فالقرآن أوثق وهو مقدم.

(2)(ص 135) من كتاب الإسلام كبديل.

مقالة

الـمـرأة بين تفكيرين

إعداد: نـورة السـعد

لم تعِ المرأة المسلمة بعد أنها الخاسرة في هـذه الصفقة العصرية المسماة» تعليم البنات« في كثير من البلدان ، وهي خسارة لم تطلها وحـدهـــا بـــل انسحبت بآثارها المدمرة على المجتمع بأكمله.. ماذا جنت المرأة عندما دفعوها دفعاً إلى صعود مراقي التعليم العلماني؟! غير أنها جنت على نفسها وعلى من سواها؟ لقد أخرجوا الـمـرأة مـن بـيـت ولـيّـهـا: أباً أو زوجاً، بشتى الحيل وأهونها فكان ذلك بداية المحذورات جميعاً ، وتركت المرأة جهادها الكريم فـي بيتها وانصرفت إلى نضال مدنّس أو على الأقل ثانوي في الخارج ؛ سعياً وراء تحصيل الـعـلـم بزعـمـهـم!! وتحقيق الكيان الاجتماعي!! والوظيفة المرموقة ، وباسم العلم والنور والتقدم!! أخرجوا لنا نماذج نسويّة تمرست وتقلبت في معتركات التعليم ومجالات العمل ومسارح الاختلاط المختلفة ، نماذج (رائدة) خلّفَت وراءها رسالتها وبخاصة هموم البيت ، ومشاكل الزوج والأولاد!! فضلاً عن تخلّـى الرجل عن ولايته وقوامته على المرأة، فلم يعد يأمر في أهل بيته ولا ينهى وانسحبت الـمـرأة من الـبـيـت، وتـفـكـكـت الأســـرة وضاعت المسؤوليات.

لماذا تتعلم المرأة ، وماذا تتعلم؟

تتعلم المرأة لتنير عقلها وقلبها ، وبماذا تنيره يا ترى؟ بالمناهج الدراسية الرجّالية التي لا تنفع المرأة ، ولا تستقيم مع فطرتها ، ولا مع دورها الحقيقي في المجتمع! أم بالمناهج التعليمية إياها في شتى المراحل المملوءة بالأفكار اللادينية بل المناوئة للدين أحياناً.. تلك المناهج التي تكرس الازدواجية في الأذهـان (تعـليم ديني ومدني ، قديم وحـديث) وتعرض المفاهيم الدخيلة وتزكيها وتطمس على المفاهيم الإسلامية وتشوهها (لاسيما مناهج التاريخ والتربية والاجتماع ، وخصوصاً مناهج الدين!!).(1)

وما ضرورة الدراسات العليا للمرأة المسلمة؟ في كثير من الأحيان هل حقاً هو التـحـصـيــل الـعـلـمي!! أم صرعة المساواة مع الرجل؟ إذن فما الآثار المترتبة على تخريج تلك الأفواج من حاملي الإجازات (العلمية)؟! أين فاعليتهم الاجتماعية؟ وماذا قدموا للمجتمع؟! ماذا قدمــت تلك الرسائل الجامعية في معظمها غير انتحال أفكار الآخرين واقتباس كلامهم ، وتبني مـنـاهـجـهــم الضالة دون فهم أو تمحيص؟ حتى أصيب كثير من الرجال والنساء بالخلل العقدي!!

فأجيبوني ما ضرورة الدراسات العليا للمرأة؟ لاسيما إذا جرها ذلك إلى التغرّب وحدها؟! فإن سفر المرأة يعني: سـفــراً دون محرم ، وإقامة دون ولي واختلاطاً ومنكرات لا تعد ولا تحصى، خصوصاً في هذا العصر، وعند فتيات اليوم، اللاتي لا يبالين بركوب الصعاب، وخوض غمار التجارب ، برغم قلة الزاد.

وحتى عندما ترافق المرأة زوجها المبتعث إلى الخارج ، يتفتق الذهن التجاري للزوجين في كثير من الأحيان عن فكرة إكـمـال المرأة للدراسة أيضاً ، لا من أجل سـواد عـيون العلم ، ولكن تجميعاً للمرتبات (مرتب دراسي هـنــا ومرتب وظيفي هناك) أما الأولاد فيحصلون على الحشف وسوء الكيلة ، ففوق التغريب يـلاقـــون الإهمال ، فيرمى بهم إلى جليسات السوء (baby setters) والمدارس الأجنبية ، وإلى خضم الحياة الغربية الموبوءة ذاتها.

ويدّعي الجهلة والمضللون:بأن الاختلاط أقل كلفة من إنشاء كليات للبنين وأخرى للبنات، ولكن ما الداعي أصلاً إلى تـعــلــم المرأة لعلوم الذرة والهـنـدســة والـزراعـــة!! والإعــلام والصحافة!! والآداب والفـنــون!! وغير ذلك؟ هل ليستوي الرجل والمرأة ، في الخضوع للغزو الثقافي وغسيل الأمخاخ والتناقضات العقدية ، ولماذا كل هذا الحرص على إخراج المرأة وإفسادها؟ لماذا تمجّد وتلمّع النماذج الشاذة في المجتمعات الإسلامية من شويعرات ومتأدبات وفنانات ومفكرات ومتحزبات ومستوزرات!! لماذا جعلوا المرأة التقدمية بزعمهم تمشي تحت هالة من الأضواء والتعاطف ، وصوروا المجتمع الشرقي المتخلف كما يحبون أن يطلقوا عليه يكمن مترصداً وراء الجدار على هيئة رجل ملتحٍ بيده خنجر؟! هل الإسلام عدو للمرأة؟! سيقولون

لـك: لا، لـكـن الإســلاميين كذلك! فالإسلام الموجود بين دفتي المصحف ليس خصماً لهم مادام القرآن مهجوراً!!
ولكن أين هي المرأة المسلمة؟! هل هي تلك الخيمة المتحركة كما يدعون!! المرأة الجاهلة المتخلفة! تلك التي أورثتها جدران البيت قصر النظر وبلادة الحس ، وسُقم التفكير!! هل هي تلك التي لا تعرف من الحياة سوى الطبخ والنفخ،»واسكت يا ولد«،وهات أيها الزوج؟! أم أنها تلك المرأة العصرية (الواعية)!! التي تتمتع باسـتـقـلالية اقتصادية وفكرية!! تلك التي تدفع بأبنائها إلى المدارس الخاصة أو المدارس الأجـنـبـيــة!! تلك التي تختار بلداً أجنبياً لتمضية الإجازة الصيفية ، لينعم أطفالها»بكورسات« اللغة الإنجليزية ويمارس أفراد العائلة حرياتهم بعيداً عن أعين الرقباء!! تلك الأم العصرية التي اهتدت(!!) إلى تطبيق التربية الحديثة الفذّة فألبست صغيرتها ذات الاثني عشر ربيعاً (!!)»البنطال« و»التي شيرت« وتركتها تقص شعرها كالصبي ، وتمارس الهوايات الرياضية، وتتلقى دروساً في الموسيقى، ولأنـهـا تتفـوق في الفيزياء والرياضيات الحديثة ، فليس عليها بـعـد ذلك ألا تحسن شأناً نسوياً واحـــداً وألا تـعـــرف من القرآن والدين إلا ما تجتاز به امتحاناً، دون ممارسة أو تطبيق، ولماذا تتحجب هـــذه الفـتـــاة وأمها لا تلتزم كثيراً بالحجاب الشرعي!! ولماذا تتحجب والحجاب مسألة شخصية!! ولماذا تكره على الصلاة؟ وليس لديها وقت لذلك!! فالوقت مزدحم بالدراسة والنادي والأتاري والفيديو والفسح... الخ عندما تبلغ الفتاة سن الرشد فإنها ستختار (أو لن تختار) لنفسها الحجاب والصلاة وبقية الأمـور المؤجلة!! أما الآن فالأم تسلح ابنتها بأساسيات الحياة وبما ينفعها حقاً في حياتها العملية!!
هذا جانب من التربية الحديثة التي تفتخر بها الأمهات العصريات في المجالس النسوية، ويـفـضـلـن الـحـديث فيما أنفقنه على المدارس الخاصة ، ودورات المهارات الالكترونية ، وملابس الصيحـــات الحديثة، والسفريات هنا وهناك فسينفقون أموالهم ثم تكون عليهم حسرة.
إن المرأة المسلمة حـقـــــاً هـي التي بايعت الله ورسوله-صلى الله عليه وسلم-على السمع والطاعة: فصانت نفـسـهـا ، وحصنت بيتها ، وجعلت همها الأول في حمل الأمانة التي استحفظت عليها: تربية الأجـيـال الـربانـيـة المحمدية ، وعرفت حق المجتمع عليها ، فانطلقت تتفقه في دينها ، وتدعو قريناتها ، وتنصح لأخواتها.
إنها تلك التي طالبت بنصيبها من الهدي الرباني لما غلبها الرجال عليه فاستجيب لها ، لأنها شقيقة الرجل، أي شريكته لا نده، فإن اختلاف الطبائع الجسدية والنفسية ، عند كل من الرجل والمرأة يعني بالضرورة اختلافاً حاسماً في الوظائف والأدوار ، وإلا فإنه من المجافي للمنطق أن يخلق الإنسان ذكراً وأنثى دون أن يترتب على ذلك أمرٌ ما.

ولقد خرجت المرأة المسلمة في خير القرون ، مجاهدة في ظل القرآن لكن ذلك لا يعني أنها هجرت بيتها ، وحملت السيف وجالدت الرجال ، فإن النماذج المعروفة لنا لا تمثل صوراً عامة ، لكنها نـمــاذج معدودة فحسب لنساء مسلمات ، استجبن بشجاعة منقطعة النظير لدوافع إيمانية بحتة ، فقد شهدت نسيبة بنت كعب مع زوجها وابنتها أحداً ، وشهدت أيضاً الحديبية ويوم حُنين ويــوم اليمامة ، وشهدت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما اليرموك مع زوجها الزبير ، وشـهدت أم سُلَيم حنيناً مع زوجها أبي طلحة ، وابنها أنس بن مالك ، وحمل عبادة بن الصامت زوجه أم حرام معه لما غزا قبرص في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.. ويتجاهل الكـثـيــرون أن هاتيك النسوة المسلمات ، وعلى رأسهن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قد شاركت في الأحداث المهمة في عصرهن،وخُضنَ المعارك، ومع ذلك كله فلم تكن إحداهن تكلم الرجال إلا من راء حجاب.

إذا كان الرجل نصف المجتمع فإن المـرأة هي نصـفه وحاضنة نصـفه الآخـر فهذا الرجل نفسه قد تعرض لتربية المرأة أماً وتأثيراتها أختاً وابنةً وزوجاً ، وإذا كان في وسع الرجل أن يتنصل قليلاً أو كثيراً من مهامه داخل بيته ، فإن المرأة لا يسعهامن ذلك أقله ، فهي المربية المدبرة المسؤولة ، شاءت أم أبت ، فإذا صلحت صلح الأمر كله وإن غاب الرجل وإذا فسدت لم يُجْدِ مع ذلك دواء.

إن صلاح الرجل والمرأة ، مرتبط أساســاً بعودة المجتمع إلى نظام الإسلام ، إنه في بلوغنا القيم الإيمانية التي تجعلنا نحـيــا في سبـيـل الله حياة ربانية كاملة ، في أقوالنا وأفعالنا ومشاعرنا وأذواقنا ، وخلجات صدورنا وآفاق تصوراتنا ، وغايات آمالنا ، إنطلاقاً من غاية التربية الإسلامية ومناهجها المبنية على تكويـن الـفــرد الصالح في نفسه المصلح لما اسّتُرّعي عليه.. وقد اسّتُرّعيت المرأة على البيت المسلم الذي يمثل بحق نواة مصغرة للمجتمع كله ، بل الحياة بأسرها.

الهوامش

(1) انظر د. يوسف القرضاوي الحل الإسلامي فريضة وضرورة ط 3 -1397 هـ مكتبة وهبة القاهرة ص 44-45.

في دائرة الضـوء

قضـية الآخـر»
في كتابات المثقفين العرب

د. محـمد يحـيـى

أصبحت قضية ما يسمى »بالآخر« تـشـغـل حيّزاً واضحاً في الطروحات الثقافية على الساحة العربية في الآونة الأخيرة ، لاسيما في مجال مواجهة الفكر الإسلامي ونقده ، حيث توجه تهمة رئيسة الآن إلى هذا الفكر بأنه لا يـعـتـرف بالآخــر ، ولا يفقه التعامل معه ، بل لا يضع قضية الآخر برمتها في الحسبان ويرمى الفكر الإســلامــي بهذه التهمة من قِبَل رموز العلمانية على امتداد ساحة العالم العربي الفكرية ، كما تـبـنـى على هذه التهمة اتهامات فرعية ، تتعلق بدعوى ضيق الأفق ، والانغلاق ، والتعصب ومـــا شابه ذلك وتقترن بهذه القضية أو هذا الطرح مسائل أخـرى ، أصبحت مشـهورة ثقافياً فـي الفترة الأخيرة كقضية الـتـعـددية ، والتفاعل الفكري الحضاري ، وإسقاط مفهوم الهوية والـذاتـيـة ، وتـجـنـب الحديث عــن الـغـزو الـفـكـــري والثقافي ، باعتبار أن كل هذه المسائل تعالج قضية الآخر وتحلها ، وفي الوقت نفسه ينشغل بعض المثقفين الإسلاميين بالرد على الطروحات الدائرة في فلك قضية الآخر ، بتوضـيـح انفـتـاحـيـة الإسلام ، وقدرته على التواصل الحضاري ، وسماحته الدينية ، وعدم تبنيه مفاهيم ضيقة حول الهوية ، والذات... الخ.

ولكن في خضم هذه الطروحات والطروحات المضادة ، تغيب حقائق واعتبارات مهمة يغفلها عمداً أو سهواً من أتوا بقضية الآخر إلى الساحة الفكرية كما إن عـــدم تعرض من يتصدون بالرد من الجانب الإسلامي لها يضعف من فـاعـلـيـــة دورهـــم ويجعلها أشبه بالضربات المضادة»الروتينية« التي توجه في لعبة كرة المضرب حتى تستقر الأمور إلى أن يتناول الطرفان الكرة في رتابة، حتى يسجل أحدهما نقطة، ثم تعود المباراة إلى وتيرتها، حـتـى يـسـجل الآخر نقطة.. وهكذا ، ومثلما هي الحال في كثير من القضايا الثقافية المطروحة ، ولاسيما في مجـــال المواجهة بين الإسلام والفكـر العلماني ، فإن المطلوب هو كسر حلقة الرتابة في طرح القضية وإدارتها بدلاً من الاندمـــاج الطوعي غير الواعي في داخل هذه الحلقة ، مما ينتهي إلى العقم ، وعدم الجدوى حيث يـسـجـل الطرفان النقاط كل أمام جمهوره ، ويفوز أحدهما فـي النهـايـة لكي يواجه الهزيمة في المـبـــاراة أو القضية التالية. المطلوب إذن هو الخروج من دائرة التبادل الرتيب للحجج والحـجـــج المضادة داخل حلقة المباراة القضية المطروحة إلى فحص وكشف قواعد المباراة،ومن الذي فرض هذه المباراة القضية وحدد أطرها الفكرية؟!

والمطلوب أيضاً تسليط الضوء علـى هذه الأمور الواقعة خارج إطار ساحة اللعب؛ لأن ذلك أكثر فائدة لفهم القضايا، والتعامـــل معها،وكذلك للعلم والوعي بحقيقتها، وهذا هو المطلوب تجاه قضية»الآخر« برمتها.

لعل أول الأسئلة التي ينبغي أن توضع في هذا السياق هو: من الذي يطرح قضية الآخر؟ وهو سؤال يفتح الباب لأسئلة حيوية أخرى مثل: ما هو هدف إدراج هذه القضية؟ ، وهل تطــرح هذه القضية بهدف ثقافي محض هو المعرفة المجردة؟ أم تطرح بهدف سياسي/ثقافي هــو توجـيــه ضــربة ، أو

إثارة عقبة أمام تيار خصم؟.. هناك سؤال أخطر حول ما الذي يعنيه بالضبط من يطلقون مصطلح »الآخر«؟ وما هي أبعاد القضية وما هي المصطلحات المتصلة بها؟.. هذه هي الأسئلة التي يجب أن تطرح قبل الإجابات والحجج والأسانيد التي تثبت أن الإسلام يعترف بالآخر ، ويتعامل معه ويتفاعل ويفكر.
إن مفهوم أو مسألة »الآخر« تستند أساساً إلى تراث أوروبي فكري وفلسفي بعيد الغور وطويل التاريخ ، فـهـــو متأصل مثلاً في النزعة »الإنسانية« أو بالأصح الفردية ، التي غلبت على الفكر الغربي فيما يسمى عصر النهضة وما تلاه من عصور فلسفية ، حيث تضخم إحساس الإنسان الفرد بذاته وشخصيته وكيانه ومشاعره ورغباته وتطوره ومصالحه ، إلى حد أصبح معه هو وليس الــرب أو الإله أو الأمـــــة أو المجموع البشري محور التفكير والهم الأول والأسبق ، وإزاء هذا التضخم والمحورية لـلـــــذات المفردة ، وتحولها إلى عالم واسع من الأفكار والمشاعر والرغبات والمصالح تدور حول نـفـسـها في أنانية طاغية أصبح»الآخر« وهو الأفراد ، أو الكيانات ، أو الذوات الأخرى مشكلة أو قضية تفرض نفسها من حيث كيفية التعامل مع هؤلاء ، وتحقيق الذات في مواجهتهم أو عـلـى الأقل بتنسيق معهم ، أو دون الدخول في صراع معهم ، أو بالدخول في صراع معهم والـفــوز في هذا الصراع.. باختصار شديد فإن قضية الآخر نشأت فقط في ظل تضخم وتمدد الإحساس» بالأنا«
المفردة، أو بالذات والكيان والشخصية الفردية إلى حد أصبح معه إيجاد مجال لـمـا هو خارج الفرد أو لما هو غير الذات مشكلة تتطلب الحل ، وتتطلب التفكير في أبعادها ومضامينها.
النزعة الفردية الغربية المسماة أحياناً أو في أصلها »بالإنسانية« هي الـرحـــــم الأول الذي ظهرت فيه قضية الآخر ، والتي ظهرت تجلياتها تباعاً في الفلسفات والمذاهـــب الفكرية الغربية المختلفة حتى العصر الحالي ، ففي فلسفة هيجل المنطقية ، وفي مفهوم الـحـــــد والذات غير المطلقة في كلامه عن النفس والروح والتاريخ يصبح الآخر ضرورة حتمية تلازم الـــذات الـمـفــردة ، وتحتم عليها التعامل معها ، وإذا كانت الذات والآخر هنا أفراداً أو مفاهيم ، فإن الــــذات والآخر في فلسفته عن التاريخ تصبح أمماً وجماعات ودولاً يجري التصارع والتناقض بينها على هذه الأسس ، وقد انعكس هذا المفهوم الهيجلي عن الذات والآخر على أفكار ومــذاهب سياسية وقانونية كثيرة طيلة القرن التاسع عشر والعشرين ، رأت في غلبة الأنا ، وإطــلاقـهـــا بالتغلب على الآخر ، أو استيعابه من خلال»الجدلية« الهيجلية المشهورة، الحل الأكيد، والهدف الأسمى الذي تسعى إليه.
والفلسفة النفعية الإنجليزية الشهيرة في منـتـصف القرن التاسع عشر ، وما تمخض عنها بعد ذلك من مذاهـب فـي علم النفس والاجتمـــاع والسياسة ، وقبل كل ذلك في الأخلاق والسلوكيات ، قدمت هي الأخرى طرحها الخـاص لقضية»الآخر« ، أو»الأنا« التي لا يشغلها شيء سوى»حساب اللذة«

والحـصـول عليهـا بأعظم درجة ، حيث تصبح المشكلة هنا هي كيفية إجراء هذا الحساب للذة والتعـظـيـم للفرد وللأنا في وجه الآخر ، أو بالتنسيق معه وحيث تصبح المشكلة الكبرى في هذا المذهب وما تفرع عنه من مذاهب ليبرالية وبراجماتية ، هي تحقيق مصالح ولذات وسعادة الأفراد والذوات المادية داخل مجتمع مكون من» ذوات« فردية متضخمة الإحساس بكياناتها ، وكل مـنهـا هو»الأنا« لنفسه و»الآخر« بالنسبة لغيره ، وتظهر قضية الآخر في مباحث الإدراك المعرفي عـنـد (الظواهرية) في مطلع القرن العشرين حيث رأت هذه الفلسفة أن عملية اكتساب المعرفة ترتـبــط ارتباطــاً وثيقاً بذات العارف الفردية ، التي تسعى لاستكشاف الآخر المعرفي أو النفسي أو الشخـصي ، وكذلك تظهر قضية الآخر في بعض الفلسفات الوجودية ، ولاسيما في فلسفة (سارتر) ومن لف لفه من الفلاسفة الفرنسيين والأمريكيين وغيرهم ، وهي تظهر هنا على المستوى الفردي البحت حيث يكون هدف الذات المفردة هو»تحقيق الذات« في إطار يكون فيه »الجحيم هو الآخرون« وفق عبارة (سارتر) المشهورة والتي ترى في الآخر (الغريب) الذي ينبغي الدخول في علاقة ما معه ، ولكن فقط في إطار أو سياق تحقيق الأنا لذاتها. وأخيراً وعلى مدى العقدين الماضيين تبرز قضية» الآخر« في الفكر الأوروبي الثقافي بعامة ، وعلى كل المستويات الفلسفية والاجتماعية وحتى»الأنثروبولوجية« لتعالج قضية الحضارة الغربية في مواجهة المشكلات المترتبة على العهد الاستعماري القديم والإمبريالي الجديد من تعاملات مع شعوب وثقافات ما يسمى بالعالم الثالث ، ومع الأقـلـيــات الكبيرة العرقية والدينية واللغوية والثقافية التي نشأت داخل الدول الأوروبية ثم الأمـريـكـيـة ؛ بسبب عوامل عديدة كالهجرة والعلاقة الاستعمارية ، وهذا الطرح الأخير هو الذي نـقــلـه إلى الساحة الفكرية العربية عناصر النخبة العلمانية في إطار سياستهم الدائبة في المحـاكـاة والـنـقـــل والاستيراد لما يروج في ساحات الفكر الغربي ، وكذلك في إطار استخدام هذه النخبة لأدوات فكرية غربية كأسلحة في حرب المواجهة مع الإسلام ومنهجه.

والخلاصة هي أن مسألة»الآخر« لا تقوم بل ولا يكون لها معنى إلا في ظل حالة من تضخم الشعور بالأنا أو بالذات الفردية أو الجمعية أو المعنوية إلى حد تصبح معه علاقاتها مع أي كيان خارجها (الآخر) سواء أكان فردياً أو جمعياً مشكلة من حيث أنه قد يعرقل ، أو يحد من أهم وقائع هذه الأنا أو الذات في تحقيق نفسها بالمعنى الشامل معنوياً أو مادياً ، مما يستتبع أن يكون هناك مشكلة»الآخر« ، وقد تفرقت أنواع الحلول والاتجاهات الغربية في مشكلة الآخر بين ما سمي»بنفي الآخر« أو سحقه والقضاء عليه (وهذا في حالات الصراع بين القوميات ، وبين الثقافة الاستعمارية النصرانية العلمانية والثقافات المستعمرة) ، وبين محاولات الحوار والاستيعاب بالتعددية على درجات داخل كيان موحد أوسع... الخ.

*****

إن المشكلة الحقيقية مع قضية »الآخر« تختلف عن المشكلة التي تواجهنا نحن المسلمين مع قضايا فكرية أخرى فرضتها النخبة المتغربة: كقضية العلمانية ، ففي هذه القضايا تكون المشكلة الأولية هي كون هذه القضايا غربية المنشأ أي أنها قضايا تتصل اتصالاً عضوياً لا ينفصم بالسياق الحضاري والثقافي والسياسي والاجتماعي للتجربة التاريخية الأوربية ، حيث إن انتزاعها من هذا السياق وتحويلها إلى مجرد مبادئ نظرية عامة مجردة ذات انطباقية عمومية يصبح هو المشكلة الأولى التي يتحتم مواجهتها وكشفها قبل الدخول في مناقشات أخرى لتلك القضايا، أمـــا بالـنـسـبــة لقضية »الآخر« ومع التأكيد أيضاً على خصوصيتها الثقافية السياقية الأوروبية فإن الوضـــع يختلف لأن المشكلة الأولية التي تواجهنا معها هي في تطبيقها ، وإدخالها بشكل معكـــــوس من قبل أصوات النخبة العلمانية.
لقد قلنا: إن قـضـيـــة الآخر تنشأ أو قد نشأت في ظروف كان فيها تضخم الذات أو الأنا بمستوياتها المختلفة وأشكالها المتنوعة فردي ، أو ثقافي أو سياسي/اجتماعي يصل إلى حد هائل ، يتحتم معه معالجة وضع»الآخر« بمستوياته وأشكاله المختلفة في إطار عملية تحقيق الأنا لذاتها ، هذا هو السياق الذي ظهرت فيه قضية الآخر في الغرب داخل الإطار الفردي العام للحضارة هناك، وداخل فلسفاتها من الهيجلية إلى النفعية إلى الليبرالية إلى الوجودية إلى فلسفات الثقافة والمعرفة والنقد الحضاري والأنثروبولوجيا ، ولكن عند نقل هذه القضية إلى الساحة الثقافية الـعـربية نلاحظ أنها تحولت من قضية ذات أبعاد فلسفية/اجتماعية متعددة ، وذات منظور واســع عميق ، إلى مجرد تهمة توجه ضد خصم ثقافي على سبيل تشويه صورته ، ولفتح الباب أمام توجيه اتهامات أخرى له تشبه السباب الدارج ، ولا تخلو من مسحات الغلو والعصبية كاتهامات التعصب والانغلاق وما أشبه ذلك.
إلا أن الوضع المعكوس الذي أشرت إليه يتجلى في أن تهمة العداء للآخر توجه إلى الذات، أوالأنــــا أو الهوية أو الكـيـان الإسلامي في وقت هو فيه في أشد حالات الضعف والهزال والتراجـــــع ، بل وفقدان الوعي والتماسك ، بحيث إن قضيته الحقيقية ليست في حل مشكلة الآخر ، بل في مجرد ضمان استمرارية ذاتيته وكيانه هو . نحن لسنا أمام ذاتية فردية أو جماعية تعاني من التضخم والغرور والتوسع والابتلاع والاستعلاء المجنون ، كما كانت الحال مع الذاتية الفردية أو الجمعية في عصور النهضة والكشوف الجغرافية وإحياء العلوم الفلسفية والطبيعية، ثم عـهـــود مـــا سمي بالتنوير والفتوح الاستعمارية وتكوين الامبراطوريات والدول القومية الكبرى ، ومـــا صاحب ذلك كله من تأليه للفرد والذات وإخضاع كل شيء من دين وقيم وشعوب أخرى لـهـمــا وجمعها فيهما ، بل نحن عندما نتحدث عن الذاتية الإسلامية فردية أو جمعية في الفترة الراهنة نتحدث عن ذاتية هي في حالة من الضعف

والخمول لأسباب عديدة تاريخية وفعلية ليس هنا مجال الحديث عنها بحيث بات يخشى عليها أن تفقد وجودها نفسه وبالتـحـديــد من جراء سطوة هذا»الآخر« الذي يجري الحديث عنه كما لو كان هو المهدد من جانب الذات الإسلامية، نحن لسنا أمام ذات جامحة طامحة، متوسعة، عدوانية، شرسة، نهـمــة تمضي لاستعمار الدنيا، بحيث يصح أن ترفع في وجهها دعوات الحفاظ على»الآخر« مــــن عدوانها واجتياحها، وبحيث يصح أن تحذر من الدوس على هذا الآخر بالأقدام ، والقضاء عليه ونفيه، أو على الأقل مناصبته العداء.
إن الذات الإسلامية التي ترفع في وجهها الآن تهمـة العداء للآخــــر ورفضه ليست هي الذات الأوروبية الاستعمارية التاريخية ، أو الذات النظرية المصبوغـة بالنزعة الإنسانية العلمانية اللتين سعتا وتسعيان إلى محو أو إدماج أو نفي أو استيعاب»الآخر« ، وهذه الذات لم يعرف عنها هذا النزع الإنساني الاستعماري العلماني أو الصليبي المهدد ، والنافي»للآخر« سواء أكان من ناحية تجربتها التاريخية أو المعاصرة ، أو من ناحـيــة مكوناتها العقدية ، وبصرف النظر عن هذا وذاك فإن وضعها الحالي من التفكك وضعف الإحـســاس والوعي بالهوية يهددها هي وليس الآخر بالضياع ، وهذا الواقع يجعلنا نفهم التهمة الموجهة لها بالعداء»للآخر« على أنها في حقيقتها ليست تهمة مبنية على تفكير ونظر جدي متعمق في الأمور ، بقدر ما هي تهمة تقوم على تشويه الصورة وتقديم الغطاء لما يتردد الآن بفجاجة في الإعلام الغربي وغيره حول دعوى»الخطر الإسلامي الجديد« و»خطر الأصولية الصاعد« ، وما شابه ذلك من أنواع الدعاية الإعلامية ، فتهمة العداء» للآخر« لا تكشف عن نظرة جادة لمحتوى الثقافة الإسلامية ، أو لتجربة الذات الإسلامية التاريخية والمعاصرة ، وإنما هي مجرد شعار من شعارات تشويه الصورة والدعاية السوداء ، وإلا لما كان من أبسط الأخطاء أن توضع الذات المتأزمة موضع الذات المستعلية الغربية.
إذن قضية الآخر تبدأ بداية مقلوبة عندما تطرح عندنا ، وهي بداية تخالف تماماً البداية المنطقية والمعقولة والطبيعية لها في سياقها الغربي ، ويكفي أننا لسنا أمة مُستـَـعْـمِــرَة أو عدوانية ، حتى تكون لهذه القضية انطباقية علينا من ناحية تهديدنا للآخر ، كما يكفي أننا نحن الذين نتعرض لعداء الآخر ومحاولته نفينا واستعبادنا واستبعادنا.
وهنا يطرح سؤال آخر من تلك الأسئلة التي لاحظناها فيما سبق نفسه: فمن هو ذلك الآخر الـــذي يتهدده الإسلام ويتباكى عليه المتباكون؟ هل هو الغرب بنزعاته من صليبية إلـى استعمارية جديدة وقديمة إلى صهيونية وعلمانية؟ أم هو غير المسلمين في خارج وداخل البلدان الإسلامية ومعهم النخب الحاكمة والمثقفة (اللادينيـة)؟ أم هو اليهودية العالمية والإسـرائيلية؟ وهل هذا الآخر أفراد ودول ، أم أفكار ومذاهب وفلسفات ، أم حركات سياسية واجتماعية ودولية ، أم تيارات اقتصادية ومادية كبرى... الخ؟ ثم من هو الذي يتحدث عن

العداء للآخر متباكياً عليه ، وقائماً على حقوقه التي يزعم تعرضها للخطر؟ إنه نخب وأقليات متغربة ومعلمنة داخل عالمنا العربي المسلم وكأنهم بهذا الحديث المشفق على»الآخر« يهاجمون بني جلدتهم المعترضين متهمين إياهم بالعدوانية والتوسع الاستعماري والجهل الثقافي ، وهل تكون هذه النخب والعناصر قد وضعت نفسها بذلك في زمرة الآخر هذا ، بحيث ينطبق عليها ما تقوله بعض الحركات الإسلامية من أنها انخلعت من ربقة الدين؟
إن الـبـدايـــة الحقيقية للتعامل مع قضية الآخر ، تكون بفهمها وفهم سياقها الحضاري الفكري الأصلي وتتبع هوية وهدف من يطرحونها ، لاسيما وهم يجعلون من أنفسهم تابعاً لذلك الآخر الذي يتحدثون عنه ، وليس جزءاً أو مكوناً من الأمة الإسلامية التي يوجهون الاتهام إليها ، ولا يمكن أن يكون هناك طرح لقضية الآخر مع تجاهل قضية الأنا أو»الذات« أو الهوية،وهذا من طبيعة الأشياء المنطقية لأنه إذا جاز لنا أن نتصور وفق المنطق الهيجلي مثلاً أنه لا يمكن أن توجد ذات (غير مطلقة) بدون الآخر ، فإنه في الوقت نفسه لا يمكن وجود آخر وأيضاً من الناحية المنطقية والفعلية بدون الأنا والذات ، ولذلك فعندما يصرح بعض عناصــــر النخبة مثلاً من أن قضية إثبات الهوية الحضارية والعقدية هو أمر بات مرفوضاً وبائداً ، وبأنه لا يجوز الحديث عن الغزو الفكري فإن المرء يستغرب أن يصدر هذا ممن يتحدثون في الوقت نفسه عن احترام الآخر واعتباره والتعامل معه من موقع التفاعل ، وليس العداء، إذ كـيـف يـكـــون ذلك إذا كانت الأنا أو الذات (الحضارية الدينية) التي ستقوم بذلك هي عندهم مرفوضة من موقع رفض الحديث عن الهوية والذاتية الثقافية؟ إن وجود الهوية والأنا الثابتة الواضحـة هو الشرط الأول للحديث بعد ذلك عن الآخر وعن أي نوع من أنواع العلاقة معه ، ولـيـس هــذا فحسـب بل لابـد أن تكون هـذه الأنا قوية صاعدة ولابد كذلك أن تكون فاعلة داخل ثقـافـة فردية تعلي من شأن الذات وتجعل من تحققها أي تحقق الذات بمعنى بسطها وامتدادهـــا في الزمان والمكان والعمق الحضاري والفني والإشباع والقوة المادية أهم أحد أهدافها ، ولكن عندما تكون الأنا مهددة بالتفتت والضياع وعدم الوجود وعندما لا تتحقق فيها الشروط التي توفرت في الأنا الغربية،وحتّمت طرح قضية الآخر فإن طرح هذه القضية والإعلاء من شأنها يصبح عـمـــلاً مشبوهاً، وغير منطقي ، ويحق عندئذ توجيه تهمة مضادة من أن هذا الطرح وبالذات في شكل الاتهام هو طرح مغرض لا يأتي لوجه الحقيقة بل لمجرد إحراج الخصم الفكري ، ووضعه في موضع الدفاع بقذفه بالاتهام وراء الآخر ليس لغرض سوى إشغاله بالرد ، أو إحــاطــة مواقفه بالشكوك والظنون ، وفض الناس من ورائه وقبل كل شيء إجباره على اتخاذ مـواقــف يرحب فيها بالأفكار والمذاهب المخالفة وإلا تعرض لتهمة أنه ينفي الآخر ويعاديه.

ولا يمــكــن كذلك طرح قضية الآخر بإلحاح وخطورة وفي شكل الاتهام الحاد في ظل وضع تتعرض فيه الذات أو الأنا أو الهوية إلى عدوان مستمر وشرس من جانب ذلك الآخر ضد كل مظاهـــرها ، سواء أتخذ هذا العدوان شكل الغزو الفكري ، أو الاجتياح الإعلامي أو الهيمنة السـيـاسية والاقتصادية أو الهجوم العسكري المباشر ، أو حتى الإبادة والإفناء ، كما يحدث الآن على امتداد ساحة العالم الإسلامي.

إن الآخر هو الـــذي ينبغي أن يوجه إليه النصح والتحذير بأن ينهي عداءه ونفيه للأنا (وهي تعتبر الآخر بالنسبة لــــه) قبل أن توجه للأنا الضعيفة والمحاصرة تهمة العداء للآخر، والحق أن طرح تهمة العداء للآخر بهذا الشكل المعكوس يكشف غرضاً آخر من أغراض الإلحاح عليها من جـانب الـنـخـبـة ألا وهــو الإرهاب الفكري وتمييع المواقف الإسلامية ، فتحت شعار التفاعل والتقارب مع الآخر والتعرف عليه يجري الإلحاح على كبت وإسكات العديد من المواقف والأحكام الشرعية بحجة أنها تعادي الآخر ، وتعوق التعامل مـعـه ، وتشعره بالحرج وحتى تشوه صورة الإسلام لديه ، ومنها قضايا الجهاد والحكم الإسلامي ورفض الربا ، وأحكام المرأة والأسرة ، بل وحتى الموقف الشرعي من عقائد النصارى ، وسلوك اليهود.

وبنظرة فاحصة إلى الواقع نجد أن الطرح الفعلي لقضية الآخر في عدد من البلدان العربية، قــد فرض بالفعل من أجل هذا الهدف دون غيره ، حيث يقال من جانب عناصر النخب العلمانية: إن الطروحات الإسلامية في المجال السياسي والاجتماعي ينبغي تغييرها لأنها تسئ إلى الآخر وهو هنا الغرب والدوائر السائرة في ركابه وهكذا يصبح مفهوم الآخر هنا ذا طبيعة قمعية واضحة فالآخر هو الكيان الحضاري المخالف الذي تصبح للعلاقة معه أولوية قصــوى تفوق حتى أولوية أن يكون للذات أو للأنا وجود مستقل ، أو أن يكون لها حوار مع نفـسـهـا هي أولاً. إن الآخر وفق هذا المفهوم يصبح هو الكيان الأكثر أهمية من الذات التي يتحتم أن تضحي بنفسها ، أو تعدل من طبيعتها ؛ لكي تتوافق معه وتندمج فيه ولا تغضبه!! وهكذا تنقلب قضية العداء للآخر من معناها الظاهر إلى النقيض ، فالمطلوب ليس تخفيف الغلواء ضد الآخر ، بل الاندماج فيه تدريجياً ، والتوافق معه تحت شعــار إقامة العلاقة مـعــه والتكيف والتفاعل في ظروف تكون فيها الذات الحضارية ضعيفة، ويـكـــون الآخر عدوانياً متوسعاً ولا يقبل بأقل من الاستيعاب والهضم ، وليس غريباً والأمر كــذلـك أن يتوافق طرح قضية الآخر مع فرض ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، كأحدث طروحات الغرب لتحقيق الهيمنة العالمية على كل الأصعدة.

إن تعــاملنا مع القـضـايــا الفكرية التي تطرح ينبغي أن يسير على الخطوط التي سعينا إلى رسمها هــنــا من التعمق فــي الخلـفـيــات والأهداف

المرغوبة ، وحقيقة المفاهيم المطروحة والسياقات الحاكمة بدل الانشغال بتبـادلات سطحية للحجج لا تغني ولا تفيد.

تعريف بأنشطة المنتدى الإسلامي

فـي الـعــدد قـبـــل الـمـاضــي سبق التعريف بالمنتدى الإسلامي وأنه أحد مراكز أهل السنة والجماعة، يسير على منهجـهم، ويدعو إلى أصولهم، ويذكر بطريقتهم السلفية الخالية من الغلو والانحراف، وهو يستقبل ـ وبكل ترحاب ـ أي مسلم مهما كان لونه أو جنسه.

ووضحنا في تقرير موجز ألوانا مــن الأنشـطـة الـدعـوية والثقافية والمشاريع الخيرية، التي تمت بعون الله ثم بدعمكم ومؤازرتكم والتي لا تزال بحاجـــــة إلى ذلك الدعم، انطلاقا من قوله تعالى((وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والـعـدوان))، وكـانـت ولـلــه الحمد محل إعجاب وتقدير القراء والمتابعين لأنشطة المنتدى.

وقد رأينا البدء بإيضاح المزيد من التعريف لكل مشروع على حدة تحدثا بنعمة الله، سيكون الـحـديـث هـنا أولا عن مشروع كفالة الدعاة وبرامج تعيينهم، ثم بيان لبرنامج شهر رمضان المبارك الماضي، وكـذلـك تفـصـيـل لمـشـــروع مكافحة العمى بدولة تشاد، بالإضافة إلى بيان إجمالي لمشروعات المنتدى القائمة والمستقبلية.

أولا: مشروع كفالة الدعاة وبرامج تعيينهم

وإيمانا من المنتدى الإسلامي بعالمية رسالة الإسلام، فقد تم افتتاح عدد من المكاتب الفرعية للمنتدى الإسلامي في بعض الدول وتعيين مندوبين يتابعون أنشطة المنتدى في دول أخرى، وبعد طول بحث ودراسة رسمت خطة العمل وحددت الأهداف والوسائل، وذلك من أجل أن يكون العمل ـ إن شاء الله ـ عملا مدروسا، معروفة أبعاده ومعالمه، بعيدا عن الارتجال والعشوائية.

تم تعيين خمسمائة من الدعاة في عدد غير قليل من الدول الإفريقية والآسيوية مثل: كينيا، أوغندا، الصومال، أثيوبيا، الأوجادين، السودان، تشاد، مالي، النيجر، نيجيريا، غانا، التوجو، بنين، السنغال، بنجلاديش، باكستان، الفلبين، إندونيسيا... ليكون ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ إسهاما في نشر منهج السلف الصالح.

ويخضع تعيين الداعية لشروط عدة من أهمها:

1- سلامة المنهج معتقدا وسلوكا.
2- الكفاية العلمية.
3- الكفاية الدعوية.

وقد وضعت برامج دعوية يومية لكل داعية يسير في عمله بناء عليها وتشمل هذه البرامج:

1-حلقة واحدة على الأقل لتحفيظ القرآن الكريم.
2-دروس ومحاضرات عامة.
3-دروس ومحاضرات في المدارس والتجمعات العامة.
4-جولات دعوية في القرى المجاورة، وغيرها.
ثم تـتـم مـتـابـعــة الداعية عن طريق المشرف الدعوي في المنطقة نفسها، وعن طريق إرسال تقارير شهرية إلى اللجنة المختصة بذلك.
ويحرص المنتدى الإســـلامي على رفع الكفاءة العلمية الشرعية والدعوية لهؤلاء الدعاة عن طريق الدورات العلمية الشرعية والملتقيات الدعوية والإمداد بالكتب والمراجع ونحوها.

تكلفة كفالة داعية:

يـقـدم المنـتـدى الإســـلامي راتبا شهريا لكل داعية، ومقدار هذا المرتب يخضع في أغلب الأحوال لمستوى المعيشة في بلد الداعية ولمؤهله العلمي ومدى الجهد الذي يقدمه، وبشكل عام تتراوح الرواتب بين 65ـ240 دولار ومتوسط المرتبات كما يلي:

متوسط كفالة الداعية 100 دولار شهريا، و1.200 دولار سنويا.

الـكـفـالــة تشمل: المكافأة الشهرية بالإضافة إلى مصاريف الجولات الدعوية التي يقوم بها الداعية من نقل ومأكل ومسكن... الخ.

ثانيا: برنامج شهر رمضان المبارك

بـفـضــل الله تـعـالـى تمكن المنتدى الإسلامي من القيام بتنفيذ برامجه المعدة لشهر رمضان الماضي، وذلك من خلال بـرنـامـج تـفـطـيـر صــائـم صــاحبتها الأنشطة العلمية والدعوية والتعبدية، حيث تم بعون الله عز وجل إعداد 326.677 وجـبــة إفـطـــار وعشاء بتكلفة إجمالية قدرها 187.35 دولار خلال هذا العام.
ولقد حرص المنتدى الإسلامي أن تكون المناطق المستفيدة من البرامج هي الأكثر فقرا والأشد حاجة كمواقع اللاجئين المسلمين في كثير من البلدان كالصومال وبنجلاديش وليبريا، ولقد تمت إقامة سنة التراوح والقيام والكثير من الخطب والمحاضرات والندوات والدروس التي تصـحـــح العقيدة وترفع الجهل عند العامة وتفقههم في أمور دينهم المختلفة وبالأخص في أحكام الـصـيـام والقيام والاعتكاف، وزكاة الفطر، وذلك عن طريق دعاة المنتدى الإسلامي الموجودين في تلك البلدان.
ولقد كان لهـــذا البرنامج أكبر الأثر في نفوس الناس ونفع الله به خلقا كثيرا وبالأخص في جوانب الـعـقـيدة وأحكام الدين، فلله الحمد والمنة.
وستجد ـ أخي القارئ الكريم ـ أدنـــاه جــــدولا يبين البلدان المستفيدة من المشروع وعدد الوجبات في كل بلد والتكلفة بالدولار.

جدول مشروع إفطار صائم لعام 1414هـ

المبلغ الإجمالي	عدد الوجبات	التكلفة بالدولار
كينيا(اللاجئون الصوماليون)	35.973	19.166
السنغال	5.000	9.333
بنجلاديش:		
أـ البنجلاديشيون.	10.000	5.333
ب ـ اللاجئون البورميون.	90.000	48.000
غانا	60.000	16.000
نيجيريا	10.089	8.071
أثيوبيا	8.333	6.667
إندونسيا	21.500	11.467
الفلبين	11.667	9.333
السودان	12.500	13.333
إريتريا	3.846	6.666
الصومال	10.000	5.333
مالي	8.750	9.333
أوغندا	4.886	3.909
تشاد	6.000	4.000
ليبيريا	5.333	5.333
ساحل العاج	22.800	8.080

ثالثا: برنامج مكافحة العمى في تشاد

بفضل من الله تعالى قام المركز الإسلامي في السند بتنظيم برنامجه الطبي (برنـامـج مكافحة العمى) في جمهورية تشاد بالتعاون مع المنتدى الإسلامي الذي تولى مهمة الإعداد والتنسيق والإشـــراف للـبـرنامج، ومع جماعة أنصار السنة المحمدية بتشاد التي زودت البرنـامـج بالطاقة التشرية العاملة في حقل الأمن والتنظيم والنقل والتغذية.

وقد استمر البرنامج الطبي خمسة أيام أنجز خلالها ما يلي:

1- الكشف على ما يزيد عن خمسة آلاف مراجع.
2- صرف الأدوية اللازمة للمراجعين.
3- صرف النظارات الطبية للمحتاجين وقد تجاوزت (1500) نظارة.
4- إجراء 378 عملية جراحية للمصابين بالماء الأبيض الذي يؤدي إلى فقد البصر، وكانت جميع العمليات ـ بحمد الله ـ ناجحة وموفقة.

وكان الفريق الطبي العامل في البرنامج مكونا من ثمانية أطباء واستشاريين وأربعة عشر فنيا. وقد رافق البرنامج الطبي برنامج دعوي متكامل شارك فيه ما يقارب 40 داعية، وتضمن:

1- إلقاء المحاضرات العامة في العقيدة والشريعة على جميع المراجعين ف المستشفى.
2- تنظيم الحلقات التعليمية للمرضى لتعليمهم أمور دينهم.
3- إقامة المحاضرات والندوات العامة في مساجد العاصمة (أنجمينا) ومنتدياتها.
4- توزيع كميات كبيرة من الكتب والأشرطة باللغتين العربية والفرنسية وقد شمل هذا التوزيع جميع المرضى والمراجعين والمشاركين، وكذلك المساجد والجمعيات الإسلامية والمكتبات العامة.
5- إقامة مسابقة القرآن الكريم التي كانت على خمسة مستويات تبدأ من حفظ القرآن كاملا وإلى حفظ خمسة أجزاء، وقد شارك فيها ما يزيد على 40 شخصا.
6- إقامة مسابقة السنة التي كانت على أربعة مستويات،وقد شارك فيها قريب من 30 شخصا.
7- إقامة دورتين دعويتين شارك في كل منهما نخبة من الدعاة، وكانت فترة إقامة كل واحدة ثلاثة أيام، وكان عدد المستفيدين من الدورتين 50 داعية.
8- توزيع بعض الكتب المنهجية على المدارس العربية.
9- نفذ المنتدى الإسلامي خلال البرنامج مشروع العقائق الذي تم فيه ذبح 200 عقيقة وزعت لحومها على الفقراء والمرضى وطلاب العلم المحتاجين.

هذا وقد كان فرح الناس بهذا المشروع عظيما، كما أنه ولأول مرة يقام في تاريخ تشاد كلها برنامج طبي بهذا المستوى الكمي والكيفي، على أيدي أطباء مسلمين، وشعر الناي بالفارق العظيم بين هذا البرنامج والبرامج الطبية التي تقيمها المنظمات التنصيرية التي تأخذ من الدعاية أكثر من حجمها بكثير.

لذا فقد كان غيظ الأعداء من البرامج كبيرا مما حملهم على وضع العوائق دون إقامته والعراقيل التي تقلل من نفعه أو أثره، ولكن الله سبحانه سلم فباءت محاولاتهم بالفشل، وأثبت البرنامج بجدارة نجاحا منقطع النظير.

وكان هذا البرنامج فرصة طيبة لأن ينفذ الدعاة بما عندهم من اعلم إلى الناس إذ العلم صار مقرونا بالعلاج والدعوة مصحوبة بالطعام والهدي بالهدايا، لقد تعرف الكثيرون على أركان الإسلام والإيمان بعد أن لم يكونوا يعرفونها.

ومع كل هذا فقد خرج عشرات العميان مبصرين بعد أن ذاقوا مرارة العمى عشرات السنين يضجون بالدعاء، ويلهجون بالثناء لكل من كان سببا في عود أبصارهم إليهم، وقد أسلم ـ ولله الحمد ـ 23نصرانيا.

فالحمد لله أولا وأخيرا وظاهرا وباطنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

الـورقـة الأخـيـرة

الـهـم الأدبـي

تـركـي الـمـالـكـي

الإنتاج الأدبي الإسلامي المعاصـر لا يكـــــاد يمثل غير رف واحد مضئ في مكتبة متخمة بالإصدارات ، مسترخية على مد البصر مــن الأرض طولاً وعرضاً .. ومايزال النص الأدبي الذي تنبض في جنباته ومضات الخيال وفجـاءاته وجماله ووقده المعنى وخلوصُه من غبار التهويمات المصادمة لجوانب من الرؤية الإســلامية.. مايزال حجم هذا النص وعمقه غير متوازن مع هدير هذا البحر الممتد في طول العالم الإسلامي وعرضه من العائدين إلى حياض الإسلام بعد طول غياب، بالـرغــم مـمــا تحقــق فـي السنوات الأخيرة وبخاصة في ميدان النصوص الشعرية.

إن ركن الأدب في المكتبة الأدبية المعاصرة يكاد يمثل جانباً من المنجز الغربي الـذي نجـح فـي بناء عقل ثقافي لا يرى إلا من خلال (العيون الزرق)! ويُعجب حتى بالديدان التي تم (تـعـمـيـدهــــا) في بطون أصحاب البشرة البيضاء والشَعَر الأشقر! مثلما يقبل كل الأقواس الغربية من الرومانسية إلى (ما بعد الحداثة)، لكنه يصاب بالشلل حين يرى قوساً إسلامياً واحداً ولو كان القوسَ الأخير الذي يُبقي الإنسان في أحسن تقويم.

ولو فتشت في عالم الرواية العربية مثلاً عــن نمـوذج واحد مشرق يمكن أن يكون معبراً عن شخصية الإنسان المسلم وهويته الحضارية في أبعــادهـــا المختلفة أو معالجاً بعمق لمشكلاته الحقيقية ، لجف عزمك في طريق البحث الذي لا ينتهــي بـيـنـما يزدحم الطريق بنماذج الـكــادحين الذين يصارعون الفقر ويحاولون صناعة الفجر الشيوعي الكاذب، أو أولـئــك الذين يسكنون (شقة الحرية) وينقلون ما تضج به من العلاقات الغرامية مع التفصيل الذي يلاحــق الـحـركة والكلمة حتى يجسم الصورة في خيال القارئ بكل تفصيلاتها! ويصفون التنقل في عالم المبادئ المزيفة حتى وهو يتم أحياناً بحسب فتاة الغلاف التي تفتح الطريق لقبول الدعوة أو تغلقه!!.

وبين جبال الرماد هذه تكاد تختفي تلك الجمرات المعدودات من أمثال روايتي (الثعابيني) و(ملكة العنب)، فلا يُحس بها أحد ، وهي التي تحمل نسغ الجمال ملتحماً بهم صـادق، تجري دماء الأمة الحقيقية في عروقه.

من هـنـا يـصـبـــح الهم الأدبي لزاماً بعضاً من خارطة الهموم الثقافية للخطاب الإسلامي، وهل يمكن لدعوة إسلامية أن تهمّش البعد الأدبي أو تلغيه من اهتماماتها وتحتفظ مع ذلك بمسيرتها الإصلاحية في بقية أبعاد الإنسان

الحضارية؟..أظن أن ذلك غير مقبول في المنهج الإسـلامي مــن جـهـة ولا ممكن التحقق في الواقع الإنساني المعاش من جهة أخرى؛ لأن الهاجس الأدبي والشوق إلى رواء الجمال وعذوبته جزء من البناء النفسي في الإنسان يغذوه الأدب الحقيقي ويعمقه، ولا تكاد تكتمل الشخصية الإنسانية إلا به،فضلاً عن بقاء الكلمة سلاحاً متعدد الاستخدامات في الصراع الطويل بين الحق والباطل.

فـهــل تكون (مجلة الأدب الإسلامي) التي صدر عددها الأول قطرة في أول الغيث ، تقدم النص الفني الجميل، مـلـتـحـماً بالرؤية الإسلامية ، بعيداً عن أدب الأعطيات من جهة، ونصوص الترجمة لمتاهات الفكر الغربي المقدّمة في أشكال فنية جميلة من جهة أخرى؟

نرجو أن تكون كذلك ونطمح أن ينهمر من بعدها القطر.

تمت بعون الله والحمد لله
